الجزء الثاني — المجلد الثامن والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٣ — ١٧ شهر رجب سنة ١٣٧٢

محمد عبده

(١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م)

ARCHIVE

ولد محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ وأبوه عبده خيرالله من سكان قرية «محلة نصر» بمركز شبراخيت من عمل البحيرة في مصر، وأمه السيدة جنينة. كان والده من صغار الفلاحين وبذكائه وحسن تدبيره ملك بأخرة اربعين فداناً. وكان كريماً يقري الضيوف ويؤوي الغرباء، وكانت منزلة أمه بين نساء القرية لاتقل عن منزلة زوجها، عرفت بذكاء الفؤاد، ورقة القلب، وبر المعوزين والبائسين.

تعلم محمد القراءة والكتابة في منزل والده وأتم حفظ القرآن على حافظ خاص في عامين ولما يتجاوز العاشرة. وأراد ابوه أن يتعلم ولده تجويد القرآن فأرسله الى الجامع الأحمدي بطنطا فقضى في تجويده سنتين، ثم بدأ في هذا المسجد يتلقى النحو فصرف في تعلمه سنة ونصف سنة فما أفلح، وعزم أن يترك طلب العلم ويرجع الى بلده يعمل في الزراعة لكن والده أدرك ما عليه ابنه من

الذكاء فلم يرض الا أن يعود الى الأخذ عن مشايخ طنطا ، فأطاع والده وأضمر الهرب وذهب يختفي عند خؤولة أبيه في « كنيسة اورين » من قرى شبراخيت .

ومن الغد جاءه أحد اخوال ابيه الشيخ درويش وكان على شيء من العلم يجيد حفظ القرآن وفهمه ويحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث وينتحل التصوف ، فما زال بالفتى أياماً يقرأ له في كتاب تصوف ويشرح له حتى تألفه ورده الى حظيرة العلم «ولم يأت على الفتى اليوم الخامس من صحبة الشيخ الصوفي الا وقد انشرح صدره وأنست نفسه ، وانقلبت في عشرته قيم الأشياء ، فأصبح اللهو والزهو أبغض شيء اليه ، وأضحت المطالعة والمدارسة أحب شيء اليه» . وتزوج الشيخ وهو في السادسة عشرة وبعد أربعين يوماً أتت على زواجه أرسله أبوه الى القاهرة ليأخذ العلم في الأزهر . وكان من علمائه الجامدون ومنهم المنورون في الجملة فآلى التلميذ على نفسه ألا يحضر درس من لا يفهم شرحه وتقريره . ولعل هذا التلميذ كان أول شيخ اعترض على طريقة مشايخ الأزهر في التدريس وظل على رأيه حتى أصلحها عندما بلغ أشده وأصبحت كلمته مسموعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الشيخ في المسامحة الصيفية يعود الى محلة نصر فيجد الشيخ درويشاً قد سبقه اليها فيأخذ في مدارسة الشاب ومحاسبته على ما حصل من العلوم ، ويحثه على النظر في المنطق والحساب . فاذا قال له الطالب هذه علوم لا تقرأ في الأزهر . قال له الشيخ : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان . فيؤثر فيه بآرائه وارشاده .

قرأ الشيخ في الأزهر جميع الكتب المقررة في ثلاث سنين . ومضت سبع سنين رأى بعدها الشيخ الصوفي ان مريده كملت نفسه فأخذ يحثه على لقاء الناس ووعظهم ، وكان من قبل يشير اليه بالابتعاد عنهم ، فقال له بعد ذلك : الى متى هذه العزلة ؟ وما الفائدة من العلم ومن تحصيله اذا لم يكن لك نوراً تهتدي به ويهتدي به الناس ، ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك ،

وأن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غرس النعمة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة » .

ودع المجاور الأزهري شيخه ومرشده في بعض السنين وبكى هذا بكاء شديداً ومات في السنة الثانية . وعاد محمد عبده الى القاهرة وفي نفسه أشياء من طريقة شيوخ الأزهر وشروحهم ومتونهم وحواشيهم وتقاريرهم على الشروح ، رآها مما تضيع فيه الأعمار ولا ينتج عن تعليمها فائدة حتى قال : « كنت أسمع الشيخ وهو يدرّس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية » والطلاب يحفظون ما لا يفهمون وربما كان الأساتذة يلقون ما لا يصححون ولا يعلمون » .

وصف تلميذه الشيخ المراغي عصر محمد عبده وما فيه من انحطاط في السياسة والعلم والأخلاق فقال : « نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة ، كل شيء فيه ممض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة : الأمم الاسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً الى أحط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفّس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة . ذهبت ريح المسلمين ، وتفلّتت من أيديهم زمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم الا بشروح وحواشي وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة ، وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العاقل ، ويقنع الخصم

المحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، وتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة ، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داع الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة ، وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات ، مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها .

« عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة ، والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدىً وفيه شفاء ، وان شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟ » .

ثم قال : « عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ ، عامل الحسد وعامل البيئة ، ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يُحسد ، ولو أنه لم يُحسد ولو أنه لم يُرمَ بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ، ولم يُقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد ، لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » .

قال وسبب ثالث له خطره « وهو بأن جهة من جهة ذات نفوذ (الخديوي) أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه ، وأن جهة ذات نفوذ آخر (المحتلون) ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه رجل يريد افساد الدين وافساد العلم » ومن أشد مظاهر الحسد اذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، « وكاد العناد يكون كفراً » .

قال المراغي : ترك الشيخ بذور اصلاح التعليم الديني ، وتعليم علوم العربية ، وبذور اصلاح القضاء الشرعي ، وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية ، وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن ، وفي فهم أغراض الدين عامة . قال ودعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة (نوفمبر ١٩٠٤) فما قال لي : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، واذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . قال وداعبني مرة اثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، وكنت أحفظ اذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : اذاً أنت لست بعالم ، فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

بقي محمد عبده في هذه البيئة العلمية المختلطة مضطرب البال حتى وافى مصر الامام جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٦٩ ثم ذهب الى الآستانة وعاد الى القاهرة سنة ١٨٧١ فلازمه وتتلمذ له وقرأ الأفغاني لتلاميذه بعض الكتب العربية القديمة والكتب الأوربية المعربة في مختلف فروع الفلسفة والتصوف والتاريخ والسياسة والاجتماع فتفتحت عقولهم ومزقت حجب الأوهام عن عيونهم وأخذ يحثهم على الكتابة والخطابة . ولما قرأ محمد عبده « الحاشية على شرح العقائد العضدية » مال الى رأي المعتزلة دون رأي الأشاعرة فشاع ذلك في شيوخ الأزهر ، وفي يوم الامتحان لأخذ شهادة العالمية قاوموه مقاومة ظالمة ، ومنهم الشيخ عليش والشيخ الجيزاوي ، ومع أن رئيس لجنة الامتحان شيخ الأزهر يومئذ الشيخ العباسي ، وكان على جانب كبير من العلم وحب التجدد ، قال لأعضاء اللجنة

أثناء المداولة انه لم ير في حياته أحداً في ذكائه وتثبته من علمه ، وانه يستحق الدرجة الأولى ، بل لو كان فوقها درجة أعلى لاستحقها ، ومع ذلك لم تسمح اللجنة له الا بالدرجة الثانية وبعد ست وعشرين سنة من نيله شهادة العالمية ، عادت مشيخة الأزهر فصححت خطأها ونقلته الى الدرجة الأولى (١٩٠٤) .

ولم تحل درجات العالمية دون تدريس الشيخ في الأزهر وأكثر ما كان يدرس كتباً في المنطق والتوحيد والأخلاق . وفي أواخر سنة ١٨٧٨ عين مدرساً للتاريخ في « دار العلوم » ومدرساً للغة العربية في « مدرسة الألسن » وبعد قليل عزل عن التدريس في هاتين المدرستين على أن يقيم في قريته لا يبرحها الى الحواضر المصرية وذلك لتغيير خاطر أمير البلاد عليه ثم عفا عنه (١٨٨٠) وعين محرراً في جريدة « الوقائع المصرية » الرسمية ثم رئيس تحرير فيها فاستعان بقوة الحكومة على تحسين لغة الكتابة ولغة الجرائد ، وأخذت الجريدة الرسمية تخوض في موضوعات تثقف وتعلم فكان في هذه الصحيفة معلماً ومصلحاً ، قضى على الطريقة القديمة العقيمة في الانشاء وأبطل السجع والازدواج ، وعلَّم الكتاب السلاسة في التعبير وعدم التكلف .

كان الشيخ يرى في شخص رياض باشا رئيس الوزارة صورة حسنة للمستبد العادل « مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجئ الأهل الى التراحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ، ان لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة » .

وكان رياض يعاون الشيخ على مقاصده في الاصلاح ويستعين برأيه في بعض الشؤون . وسقطت وزارته بقيام الثورة العرابية ، وكان الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة ويصرح ان الأمة غير مستعدة للحكم الدستوري وأن الواجب تعليمها وتهذيبها أولاً ويرى استشارة الأمة في بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات فقط تمهيداً لما يراد من تقييد الحكومة قال : « وليس من اللائق أن نُناجأ

البلاد بأمر قبل أن تستعد له فيكون من قبيل تسليم المال للناشئ قبل بلوغ سن الرشد يفسد المال ويفضي الى الهلكة » . وقال : « أخشى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالاً أجنبياً يستدعي تسجيل اللعنة على مسببيه الى يوم القيامة » .

واحتل الانكليز مصر وأرادوا القضاء على الحركة الوطنية وشلوا سلطة دار الندوة وعملوا على التفريق بين الخديوي والأمة فتحول حينئذ مقام عرابي من قائد جيش الى قائد مصر ، وحينئذ أصبح محمد عبده والبلاد المصرية قاطبة من أتباع احمد عرابي . ورأى الشيخ ما كان يراه كل وطني صادق ان واجبه يقتضيه أن يكون مع الأمة على الانكليز وعلى الخديوي الذي أصبح آلة في أيديهم ينفذون به أغراضهم . وأصبح الشيخ كما قال عميد الاحتلال روحاً مدبراً للحركة وأصبح العرابيون يلجأون اليه في كثير من أمورهم ، لا يبرمون أمراً دون استشارته . فكان موقفه من الثورة العرابية كما قال الرافعي المؤرخ : « موقف الوطني الذى يثور لكرامة البلاد واستقلالها فدافع عنها بكل ما لديه من حول وقوة واخلاص » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضطر الشيخ الى ركوب مراكب السياسة وما كان يود أن يدخل فيها ، زج فيها رغم ارادته ولذلك رأيناه يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو ولم يرض الدخول في غمارها بالفعل وانقلب معلماً ومرشداً ، أي انه شارك في السياسة بالقدر الذي أراده ثم نفض يده منها الا قليلاً .

ولما قبض على من عرف لهم أثر في الثورة كان الشيخ في جملتهم اتهموه بأنه أفتى بوجوب قتل الخديوي لخروجه على اجماع الأمة ، فغرّب من القطر المصري الى الشام ثلاث سنين ، ثم غادرها الى باريز لنشر مجلة « العروة الوثقى » مع صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني . وكانت العروة الوثقى جمعية سرية يقصد بها محاربة الاستعمار والمستعمرين وفي مقدمتهم الانكليز ، والغرض البعيد من الجمعية « اعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعدل

والكمال في العصر الأول ، بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا ، ويتبع هذا انقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم . وأما الغرض القريب فهو انقاذ مصر والسودان من الاحتلال » .

وضاق صدر المستعمرين من مقالات مجلة العروة الوثقى فمنع الانكليز دخولها الهند ومصر والسودان فلم تعش أكثر من ثمانية أشهر كانت مقالاتها ، ويكتبها محمد عبده بقلمه الساحر ويملي بعض آرائها السيد جمال الدين الأفغاني ، أشبه بدساتير للأمة اذا جرت على بعضها نجت مما هي فيه من الانحطاط ومن الذل الذي صارت اليه بفعل ملوكها وأمرائها وزعمائها . وذهب متنكراً من باريز الى تونس فمصر ثم عاد الى بيروت (١٨٨٥) واستدعي للتدريس في المدرسة السلطانية فوضع لها برنامجاً جديداً أخذ على عاتقه منه علوم التوحيد والمنطق والمعاني والانشاء والتاريخ الاسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي وظهرت آثار تعاليمه في التلاميذ آخر السنة ، وأرشد المعلمين الى الطريق القويم في التدريس وتهذيب ملكات الطلاب وتثقيف أخلاقهم . وزار خلال ذلك بعض مدن الشام وأفاض على كل من لقيه غرفة من علمه وبيانه . وبورك له بوقته فعلق على كتاب «نهج البلاغة» وعلى «المقامات» للهمذاني وغير ذلك .

وعفي عن الشيخ فعاد الى وطنه فعين قاضياً في المحاكم الأهلية الابتدائية فقال حين سمع خبر تعيينه : ما خلقت لأكون قاضياً بل لأكون معلماً ، وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت . وقيل ان عميد الاحتلال بعد مدة أراده على أن ينزع العمامة فيكون رئيس وزراء مصر فقال له : خلقت معلماً وأريد أن أموت معلماً . وترقى في القضاء حتى صار مستشاراً في محكمة الاستئناف ، وكان يود ألا يدخل فيه وينقطع الى التدريس مع انه كان يعلم أنه يرتقي في هذا السلك الى أعلى الدرجات وان مجال التدريس ضيق محدود وطلب ان يعود

الى مدرسة دار العلوم فأبى الخديوي أن يجيبه الى طلبه مخافة أن يلقن تلاميذه من أفكاره السياسية . ولما نصب الخديوي عباس على امارة مصر داخله الشيخ وأقنعه بضرورة اصلاح الأزهر ولكن دسائس شيوخه وغيرهم حالت دون انفاذ هذه الأمنية

وفي سنة ١٨٩٩ عين الشيخ مفتياً للديار المصرية فأصبح بحكم منصبه الجديد عضواً في مجلس ديوان الأوقاف الأعلى الذي أنشأه عميد الاحتلال لحد من تصرفات الخديوي في أموال الأوقاف ، وعين في الشهر الذي تولى فيه الافتاء عضواً في مجلس الشورى . ولم يلبث أن ظهرت المشادة بين الشيخ والخديوي فان هذا أراد أن يبدل مزرعة له بأراض للبناء في ضواحي الجيزة ووضع الثمن الذي راقه فأبى الديوان باشارة الشيخ الا أن تثمّن أرض الخديوي وأرض الوقف ، فكان من ذلك أن خسر الخديوي خمسين الف جنيه ، وبذلك انتقلت العداوة التي نشأت بين مترجمنا والخديوي توفيق من أجل تقلبه في سياسته يوم الاحتلال الى ابنه عباس ، وظل هذا يحرض سفهاء الأفاقين على الشيخ ويحمل زبانيته من الجواسيس والكتاب على تسويد صحيفته في نظر الأمة ، ولكن الشيخ وجد له معتصماً من عميد الاحتلال فكان هذا يمد نظره بدفع العوادي عنه ويوقيه غضب الأمير .

وكان أول ما نام في ذهنه تفتيش المحاكم الشرعية ففتش كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية او مركز الا شاهدها بنفسه وبحث أعمالها بحثاً دقيقاً ، وتعرف حال قاضيها من قوة أو ضعف ، وضبط العمل والاهمال فيه ، فوضع تقريره وصادف من وزارة العدل معاضدة على انفاذ أكثره ، فأخرج القضاء من دركات التدني التي كان غائصاً فيها . ثم استقال من ادارة الأزهر وظل على العناية بما يصلحه . ورضيت الحكومة أن تفتح مدرسة يتخرج فيها القضاة والكتاب والمحامون الشرعيون وبذلك أبقى للشريعة بعض بهائها الذي كان المشايخ الفقهاء السبب في ذهابه ، واضطرار الخديوي اسماعيل الى العمل بقوانين فرنسا

بعد أن اقترح على أهل الأزهر أن يؤلفوا كتاباً في الحقوق والعقوبات موافقاً لحال العصر فرفضوا لا تديناً بل عجزاً . ووضع لائحة لاصلاح المساجد ليكون أئمتها وخطباؤها من أهل العلم بالدين فعارضه الخديوي أيضاً لحنقه على الشيخ يوم عرض على الأوقاف استبدال أراضي البناء التابعة للأوقاف في الجيزة بمزرعة الخديوي المعروفة باسم مشتهر . قاوم الخديوي الشيخ في هذا المشروع أيضاً وغفل عن مصلحة المسلمين في تقريره وانفاذه . وبذلك صح ما قاله ان مصيبة هذه الأمة بفساد أخلاقها أكبر من جميع مصائبها ، وقوله انه لم يعمل عملاً لمصلحة المسلمين ووجد له من يعارضه فيه من غير المسلمين ، لا من الافرنج ولا من القبط ، ولا من السوريين .

كانت طريقة الشيخ السير الى جانب الدين مع مراعاة أحوال الدنيا او تطبيق أمور العالم على الشريعة ولذلك كان في فتاويه يفتي على وجهين ، الوجه الأول : الفتوى الرسمية يتقيد فيها بمذهب الحنفي وغير الرسمية تختلف باختلاف طلب المستفتي فمن المستفتين من يسأل عن حكم الله تعالى «وعلى المفتي أن يجيبه بما يعلم من حكم الله تعالى في كتابه وما ثبت عنده من سنة رسوله ﷺ نصاً او اقتضاء» . وكانت عادة المفتين في مصر الوقوف عند حد فتاوى الحنفية ومذهب ابي حنيفة مذهب السلطان الذي كان يخفق علمه على القطر .

وكان للشيخ بحكم منصبه ما جعل منه أحسن أداة يستخدم في النهوض بالأمة شأن كل كفؤ من الرجال لا يفلت من يده فرصة لنفع غيره . ومن ذلك انه لم يكتف باصلاح الأزهر واصلاح المحاكم الشرعية بل توفر مع أصحابه على انشاء جمعية سموها الجمعية الخيرية الاسلامية غرضها التعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين واعانة العاجزين منهم على الكسب . قال في احتفالها السنوي مرة : لم تنشأ الجمعية لأخذ الشهادات والاستعداد للوظائف بل من أهم مقاصدها أن تنزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيه الا

الاستخدام في الحكومة ، والجمعية توطن نفوس التلاميذ في مدارسها على أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه باتقان ويعيش مع الناس بالأمانة والاستقامة ، فولد النجار يكون نجاراً ، وولد الحداد يكون حداداً ، وولد الفراش يكون فراشاً ، والتربية والتعليم يساعدان كلاً على اتقان عمله وصناعته فيكون اكثر كسباً لأنه أكثر اتقاناً للعمل مع الأمانة والاستقامة . وأصبح الشيخ في سنة ١٩٠٠ رئيساً للجمعية الى يوم وفاته ، فجمع لها من كرام المصريين أموالاً عظيمة ووقف عليها مزارع واراضي وأنتجت ما كان يعقد عليها أمله من الخير في تربية أبناء الفقراء تربية حرة طاهرة .

وهو الذي ألّف شركة طبع الكتب فطبعت أسفاراً مفيدة واشترك في تصحيح عدة كتب قديمة ومنها المخصص لابن سيدة .

ARCHIVE

فطر الشيخ على بث العلم ، وكان معلماً في كل مكان دخله ، معلماً في الجريدة الرسمية ، ومعلماً في دار العلوم وفي مدرسة الألسنة ، ومعلماً كل يوم في دروسه في الأزهر منذ حداثته الى آخر أيامه ، ومعلماً في القضاء على اختلاف الدرجات التي تولاها ، ومعلماً في الافتاء وفي مجلس الأوقاف الأعلى وفي مجلس شورى القوانين وفي الجمعية الخيرية الاسلامية وفي غير ذلك من الأعمال بهمة تعلو على الهمم العالية . انتبه من نفسه الى فساد طريقة التعليم الأزهري وهو في العقد الثاني من عمره وظل طول حياته يحارب تدريس الحواشي والشروح والهوامش والتقارير ويقول ان أهل الأزهر يتعلمون كتباً لا علماً ، وغرامهم في حل عبارات المؤلفين والمحشين والمحشين .

قاوم الجامدون من مشايخ الأزهر الشيخ وما كفوا عن مقاومتهم حتى أصبح غرة شاذخة في الاسلام وعندما خافوا على مناصبهم منه فصانعوه وتألفوه .

قال له الشيخ البحيري مرة في مجلس ادارة الأزهر مدافعاً عن نفسه : « اننا نعلم الطلاب كما تعلمنا » . فقال الأستاذ : « وهذا الذي أخاف منه » .

قال البحيري مستنكراً : «ألم تتعلم انت في الأزهر وقد بلغت ما بلغت من مراقي العلم ، وصرت فيه العلم المفرد » . فأجاب الامام : «ان كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكره ، فانني لم أُحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر ، وهو الى الآن لم يبلغ ما أُريد له من النظافة » .

وشرح مرة طريقته في التدريس فقال ان الكتب لا تفيد القلوب العمي الا اذا صادفت قلوباً متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها واذا وصل الى ايدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا منه شيئاً يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم .

قال ان الكلام المسموع يُؤثر في النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشاراته ولهجته في الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وأيضاً يمكن السامع أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه ، فاذا كان مكتوباً فمن يسأل ؟ ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقارئ لكلامه يفهم منه ٢٠ في المائة على ماأراد الكاتب . وعلى ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية ، وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، مع أنها كان من حقها ان تكتب ، وما علمت أحداً كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجعاني في بعض ما يكتبان وأما المسلمون فلا » .

وقال الأستاذ المراغي : كانت دروس الأستاذ كالغيث وكانت مثلاً عالياً في طريقة الالقاء والتفهيم وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة الى القلوب وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته ، والفقيه رغبته ، والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم .

لم تترك واجبات المناصب وقتاً كافياً للأستاذ ينقطع فيه الى التعليم والتأليف واضطرته حالة الأمة الى الدخول في غمار الثورة العرابية وكذلك كان حاله بعد أن عاد الى مصر يتولى أعمال القضاء والافتاء. كان يكره السياسة ويقول انها ما دخلت في شيء الا أفسدته، وفي كتابه الاسلام والنصرانية: «فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين، أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس».

وبعد فان تآليف الشيخ صغيرة الحجم جمة الفوائد وله تقارير في الاصلاح كان يقدمها الى الحكومة فتنفذها أو أكثرها، وكتب أكثر ما كتب لدواع وبواعث دعته الى وضعها وما كان ينشرها الا بعد درس وتحقيق وبتمثلها في صدره أولاً شأنه في دروسه. نشأ نشأة صوفية على يد شيخه ونسيبه الشيخ درويش في قريته فكان من الطبيعي أن يكون اول تآليفه «الواردات» رجع عن بعض ما كان قرره فيها، ورسالة في «وحدة الوجود» بين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجوه نظامها العام ووحدتها من وجه آخر، و «تاريخ اسماعيل» لم يطبع، و «فلسفة الاجتماع والتاريخ»، و «حاشية على عقائد الجلال الدواني»، و «شرح نهج البلاغة»، و «شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني»، و «شرح البصائر النصيرية»، و «نظام التربية والتعليم»، و «رسالة التوحيد»، و «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»، و «تفسير سورة العصر»، و «تفسير جزء عم»، وأمتع تآليفه التي تجلى فيها علمه وبيانه «رسالة التوحيد». هذا الى تقريره في اصلاح الأزهر وفي اصلاح المحاكم الشرعية ودفاعه عن الاسلام اذا طعن طاعن عليه ومنها ما كان ينشره في الصحف في آخر أيامه خلواً

من توقيعه أو يوعز الى خاصته ليكتبوا فكره ويقرهم عليه فينشرونه بأسمائهم .

حفلت حياة الشيخ بأمور كلها تدور على النهوض بالمسلمين وتثقيفهم ثقافة تجعل منهم أمة متحضرة ، ولذلك كان في بعض فتاويه يسير مع العقل ولا يحيد عن طريق السلف ، بدأ صوفياً وانتهى مجتهداً لا يقول الا بما يقول به علماء الظاهر أمثال الامامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية . ولكم بورك له بساعات عمره ويحق ما وصفه قاسم أمين عندما قال : « يطالع ويتعلّم ويعلّم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الأوقاف الأعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع التشريعات للأزهر وللمحاكم الشرعية ، ويمتحن طلبة العلم وتلامذة المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليه ، ويراسل علماء المسلمين في جميع الأقطار التي يسكنونها ، ويفاوض رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده . وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور أصحابه ويشاركهم في جميع أفراحهم وأتراحهم » ، قال انه وصل الى مقام الامامة بأوسع معانيها . وقالوا انه كان اذا دُعي الى حفلة عامة أو مأدبة خاصة وحالت صحته او قلة وقته دون الاجابة اليها يبعث بكتاب بقلمه فكان صاحب الدعوة بين عاملين في قبول دعوته او الظفر منه بكتاب اعتذار يقرؤه على أصدقائه وأهله ، وان فاته الاستمتاع بحديثه اذا حضر . وكان ما يكتبه في شكر المؤلفين الذين يهادونه بكتبهم سبباً في رواجها ، لأن الشيخ لا يقول جزافاً ، وكتبه من هذا القبيل كثيرة يتألف منها جزء لطيف .

حضرت دروسه في الرواق العباسي في الأزهر ، ومجالسه الخاصة في داره في عين شمس أو في دور بعض مريديه ، وسمعت بعض خطبه في الجمعية الخيرية الاسلامية فكنت أقول : سبحان من خصه من بين معاصريه ببلاغة اللسان وبلاغة القلم .

ARCHIVE

وصفه العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلة «الضياء» بقوله : كان متوقد الفؤاد ، ثاقب البصيرة ، قوي الحجة ، ذرب اللسان ، بليغ العبارة ، اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلكأ ، ولا تجد في كلامه لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفاً ، حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداهة وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انه تعلم اللغة الفرنسوية وهو فوق الأربعين فلم يأت عليه الا أشهر حتى كان يجيد فهمها ، ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ، ولم يرو مثل ذلك الا عن أستاذه السيد جمال الدين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

كان الامام يتوخى في دروسه ألا تكون جافة اذا طال بحثه وتقريره فيشفعها في الحال بشيء من دعابته الحلوة يفرغ عليها من روحه الصافي ما يحبب الى النفوس الرجوع الى سماع ما يحاول القاءه عليهم من المسائل والمشاكل . وما حضرت له درساً ولا مجلساً ولا خطبة الا تمنيت لو يطول القاؤه أكثر مما طال وودت ان أكون كلي آذاناً تسمع وقلوباً تعي وتفهم . وما شككت قط ان كل ساعة من ساعات حياته كانت نفعاً وخيراً ، وان كل من كتب له الاتصال به أفاد من علمه وتجاربه ونصائحه وهديه وتأثر به عقله وروحه .

عطف عليّ منذ تشرفت بالاجتماع اليه في القاهرة فقال في الملاء من أصحابه انه قرأ ما كتبته الصحف في مشروع السكة الحجازية فما قدر جلالة الموضوع حتى نشرت في مجلة المقتطف مقالة فيه فاطلع فيها على ما لم يطلع عليه من قبل . فهيأ لي بهذه الشهادة سبيل التعرف الى طائفة من رجال مصر في العلم والقضاء والادارة والسياسة والأدب ، وهذا جل ما يتطلبه ناشئ مبتدئ من العون والتنويه .

قالوا ان الأستاذ تعلم اللغة الفرنسية وهو في الرابعة والأربعين لما اشتدت حاجته اليها أيام تقلد القضاء وشاهد رفاقه يستعينون في أحكامهم بالقانون الفرنسي

فما وسعه الا تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها من دون كبير عناء في وقت قصير ، فكان يحضر في الصيف دروساً في هذه اللغة في كلية جنيف ويتمرن على الكلام فيها وينعم في السياحات وقد ساح في اوربا وافريقية وآسيا كثيراً . وأذكر أني صحبت احد علماء المشرقيات من الألمان لزيارته في داره وكان الحديث بالفرنسية في موضوع التربية والتعليم فما غلط الأستاذ غلطة واحدة في الساعة التي قضيناها في حديثه وأبان عن بديهة مؤاتية دهش لها صاحبي الألماني وبقي أياماً يحدثني بأثر تلك الزيارة في نفسه .

ذكر السبب الذي دعاه الى تعلم الفرنسية قال : ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لأحد أن يدعي انه على شيء من العلم يتمكن منه من خدمة امته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوربية كيف لا وقد اصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوربيين في جميع اقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم او للخلاص من شر الأشرار منهم . واخترع الأستاذ لنفسه طريقة تلقف اللغة الفرنسية فكان يتلو أمام استاذه قصة لاسكندر دوماس والمعلم يصلح له النطق ويفسر له الكلم ثم تعلم نحوها بالتدريج .

وكان الشيخ عملياً في تلقن العلم وتلقينه منذ حضر درس النحو في الجامع الأحمدي في طنطا وتأفف من طريقة تعليمه . كان في القضاء قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم ، قال عن نفسه : «انني كثيراً ما أنظر في قضية فأستخرج من التحقيق الطويل وجوهاً كثيرة للحكم بالادانة مثلاً ، حتى اذا ما تمت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيته في ذهني من وجوه ترجيح الادانة وظهر لي بغتة أن المتهم بريء حقاً فأحكم بالبراءة» وكان يفضل أبداً ان يجري الصلح بين المتخاصمين حتى لا تتأصل العداوات بين الناس اذا فضت المحاكم الشجار بينهم .

كان الشيخ رأساً في كل ما عني من أعمال المجتمع لا يلبث ان يظهر فضله الباهر في الأيام الأولى من توليه عملاً من الأعمال وتخاذل قوة الأمراء والطغاة أمام عقله، كان الخديوي عباس يبغضه لأنه لم يوافقه على مد يده الى الأوقاف، ويشتد في مقاومته بكل ما تصل اليه قوته من ضروب المقاومة فاذا ما وقع في مأزق لا يتأخر عن دعوته لارشاده الى الطريق الواجب سلوكها علماً منه بسعة عقله وسعة علمه، كان يهيج عليه العلماء والأدباء كل حين ويوم الجد لا يعتمد على غير رأيه وحكمه، والشيخ بما عرف من كرم أخلاقه يتجاهل كل ما يصيبه من أذى مبغضه.

كان الشيخ كريماً يتصدق في السر وقد خص بعض المحاويج المستورين برواتب يقبضونها من راتبه الكبير من الأوقاف وكان ينفقه كله في هذه الوجوه من البر. كان نصير المظلومين والضعفاء وطالما سعى لجلب الخير الى من كان يقذف فيه ويعاديه من دون سبب، يقصد بذلك ان يعلمه ويعلم غيره كيف تكون الأخلاق الطاهرة وان هذا هدي الاسلام وطريقة صاحبه.

قيل انه نظم أبياتاً في مرضه الأخير أبان فيها عن غرضه من الحياة وهي:

ولست أبالي أن يقال محمد أبلّ او اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رُجعى قريبة الى عالم الأرواح وانفضّ خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قاتم

قالوا ان لسانه لم ينطلق بقول الشعر الا في آخر أيامه. وفي الحبس لما سجن مع العرابيين.

أجاب الشيخ رجلاً من الشاميين هنأه بمنصب الافتاء ومما جاء في جوابه

يصف موقفه من الأمة المصرية : « أما قومي فأبعدهم مني أشدهم قرباً مني وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون الظنون ، بل يتربصون بي ريب المنون ، تسرعاً منهم في الأحكام وذهاباً مع الأوهام ، وولعاً بكثرة الكلام ، وتلذذاً بلوك الملام ، أقول فلا يسمعون ، وأدعو فلا يستجيبون ، وأعمل فلا يهتدون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون ، بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والعويل ، والصخب والتهويل حتى اذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا

وأقول ولا من الخير .

« وانما مثلي فيهم مثل أخ جهله اخوته ، أو أب عقته ذريته ، او ابن لم يحن عليه أبواه وعمومته ، مع حاجة الجميع اليه ، وقيام عمدهم عليه ، يهدمون منافعهم بابعدائه ، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه ، وهو يسعى ويدأب ، ليطعم من يلهو ويلعب . على اني أحمد الله على الصبر وسعة الصدر اذا ضاق الأمر ، وقوة العزم وثبات الحلم ، وان كنت في خوف من حلول الأجل قبل بلوغ الأمل ، خصوصاً عندما أرى العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطراً ، لما أنبتت زرعاً ، ولا أطلعت شجراً ، أفزع لذكرى ذلك وأجزع ، ويكاد قلبي يتقطع ، ثم أرجع الى الله فأعلم انه مع الصابرين . وانه لا يضيع أجر العاملين ، فيثلج صدري وأمضي في جهادي الدائم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ...

« ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين وحمق المعلمين في مثل هذه الجاهلية التي بعث النبي لمحو أحكامها وازالة ايامها . تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً ولكن كان فهم القوم جديداً لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه ، كان القرآن يصدع أفئدتهم فيلين من

شدتهم ، ويفلّ من شِرَّتهم ، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة ، وما كان أهل العناد فيهم الا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه ، وطائفة كانوا يفرون منه خوف ان يعرفوه ، ولو سمعوا لفهموا ثم لم يجدوا بداً من أن ينصروه . وان الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل في بني آدم . أما اليوم فانما أشكو من قلة الفهم وضعف العقل ، واختلال نظام الادراك ، وفساد الشعور عند الخاصة ، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة ، وغاية ما يطلبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، وان يوصفوا بالعلم وان لم يعقلوا ، وان تقضى حاجاتهم اذا سألوا ، وان ترفع مكاناتهم وان تنزلوا ... »

وهذه من أجمل الصفحات التي كتبها الأستاذ الامام في النعي على قومه فساد الخلق والعناد على سماع الحق ولو كتب له أن يكتب كتاباً في حاضر المصريين لكان أجمل كتاب يصدر عن مثله .

رسم الأستاذ الامام ، وهو اللقب الذي أطلق عليه في أواخر أمره ، خطة لنفسه في الحياة منذ كان في العشر الثاني من عمره وبقي على تحقيقها لا يثنيه شيء عنها وما حاد عما رسم في الدرس والتدريس ولم يبرد غرامه بحمل النور الى العقول الى آخر ساعة ، وهذا قلما عهد في الشرق الاسلامي . ولا غرو ان اضطلع وجده بعمل مئات من أمثاله من المشايخ مجتمعين ذلك لأن أكثرهم يحصلون العلم ليعيشوا في الدنيا ويتولوا المناصب في الدول ، أما هو فتعلم العلم ومارسه لينفع به الناس في دينهم ودنياهم ، ويخرج من هذا الجسم النحط ناشئة قوية تفيد الاسلام والمسلمين . كان مفرداً في أمته لم ينبغ فيها مثله منذ قرون ولعل القرون تتوالى حتى ينشأ رجل فذ من عياره يستوفي شروط الامامة وتعزف نفسه عن المطامع والمظاهر .

والسر في تفوقه على غيره انه كان من أول نشأته يستعمل عقله ويكره الجمود والعنجهية ، ويعرف وقته معرفة ثاقبة وييسر بما يلائمه ويبسر على أمته . عرف ان الشريعة مرنة تصلح لكل زمان ومكان فانتفع ونفع بهذا الرأي ، وكان اذا جاءته المعضلات جرد لها من عقله مخارج فحلها بقانون الشريعة وقانون العقل معاً ، فقد سئل في ذبيحة النصارى فأحلها ، واستفتي في جواز لبس القبعة فأجازها ، وسئل في ايداع المال في صناديق التوفير فأفتى به . وفي تفسيره القرآن فسر أموراً غامضة لا يفهمها كل الناس وقربها من الأذهان فأقنع غير المتعنتين كمسألة الجن والملائكة فسرها بما لم يسبق لمفسر على ما نظن . ومن قرأ دروس تفسيره يدرك انه عالم لا كالعلماء يقول أبداً : « لا امام سوى العقل » .

لم يخلف الامام مالاً تعيش به أسرته من بعده ، « عاش عظيماً فقيراً ومات فقيراً عظيماً » خلد اسماً يذكر بالاعجاب والتقديس كما ذكره الذاكرون .

محمد كرد علي

جزيرة العرب

قال صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في الجزء الثامن والثلاثين من التذكرة : قلت وقد أمرني المخدوم الناصري بنظم حد جزيرة العرب في شهر ربيع الآخر من شهور سنة خمسين وسبعمائة :

جزيرة هذه الأعراب حدت بحد علمه للحشر باق
فأما الطول عند محققيه فمن عدن الى ريف العراق
وساحل جدة ان سرت عرضاً لأطراف الشآم على اتفاق

بعض اسرار اللغة العربية

أو

تصويب لهجة من اللهجات العامية

للغة العامية جوانب مختلفة من البحوث . ومن طريفها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لغتهم التي دوناها في معاجمنا فقط . بل ورثونا أيضاً بعضاً من غرائزهم في تفريع الألفاظ ، وتشقيق بعضها من بعض . فقلدناهم في طريقتهم هذه من دون شعور منا .

فالعرب بنابل من سلائقهم والأوضح أن نقول بسائق من غرائزهم يصوغون أو يرتجلون فعلاً ثلاثياً سالماً كفعل (قطع) مثلاً ثم نجدهم يصوغون أو يرتجلون بواسطة تلك الغريزة فعلاً ثلاثياً غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول — (أي فعل قطع) في اللفظ والمعنى . مشابهة تامة حيناً أو مقاربة حيناً آخر . فيقولون (قطّ) كما قالوا قطع . ومعنى (قط) هو معنى (قطع) . حذفوا لام الفعل وشدّدوا عينه . فلم يسر فعلا (قطع وقط) في طريق الاستعمال متدابرين كفعلي (ضرب ونصر) مثلاً ، بل متآخيين متعانقين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأي الفعلين المذكورين (قطع وقطّ) نطق به العرب أولاً ؟ أو هُدوا اليه أولاً ؟ .

لا بد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك شأنهم في معظم المسائل اللغوية . غير أن الأظهر ان يكون (قطع) هو الأصل لاعتبارات لا يسع المقام بسطها : أبينها أن تكون (قط) هي المختزلة من (قطع) تخفيفاً أو تسهيلاً أو تفادياً من طول الصيغة وامتداد الصوت بها .

وعلى نمط (قطع وقط) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة أسرد منها ما مر ببالي عفواً :

١ — (قطع) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (قط) .
٢ — (زلق) : 〃 〃 〃 (زل) .
٣ — (كدح) : 〃 〃 〃 (كد) .
٤ — (بتر) : 〃 〃 〃 (بت) .
٥ — (زحل) : 〃 〃 〃 (زح) .
(في كتب اللغة : زحل الرجل عن مكانه تنحى وزحه عن مكانه اذا نحاه عنه) .
٦ — (شخب) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (شخ) .
(في كتب اللغة هما (أي الشخب والشخ) بمعنى واحد . ففي اللسان الشخ صوت اللبن اذا خرج من الضرع . وشخ ببوله مدّ به وصوّت . وشخب اللبنُ وكل مائع سال وجَرَى عند الحلب) .
٧ — (مرق) استطالوها فاختزلوها وقالوا (مرّ) .
٨ — (قَمَش) 〃 〃 〃 (قمّ) .
(في كتب اللغة (قمش) جمع القماش من هنا وهناك . والقماش فتات الأشياء المنثورة على وجه الأرض . و (قم) جمع القمامة بالمقمة أي المكنسة . قال الزمخشري : (وينادى بمكة على المكانس : المقام المقامّ : بتشديد الميم) .
٩ — (أَلْحَفَ) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (أَلَحَّ) .
١٠ — (حَدَجَ) : 〃 〃 〃 (أحَدَّ) .
(قال علماء اللغة (حدجه) ببصره اذا حدّق فيه النظر . ومنه قول بعض العقلاء (حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم) و (أحد) اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه) .
١١ — (رَصَفَ) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (رصّ) .
(في كتب اللغة رصه اذا ألصق بعضه ببعض . قال تعالى : (كأنهم بنيان مرصوص) ورصَفَ الحجارة في المسيل ضمّ بعضها الى بعض) ومنه الرصيف .

ما حركه في الأفعال ومثال الأسماء (الصَّرْد : البرد) . أرض صَرْد . يوم صَرْد . (الصِرّ) البرد . ريح صِرّ أي باردة . وكذا الشط للنهر كالشاطئ . وقالوا الشطّ وجمعها شطوط . و (الحرْح) . قالوا فيه (الحِرّ) بتعويض راء من الحاء وهو الأصل كما يفهم من المصباح . قال وقد يستعمل استعمال يد ودم من غير تعويض . أي من غير حاء ولا تشديد .

هذا ما وسعني التمثل به من تحويل العرب للفعل السالم الى فعل مضاعف اختزالاً أو تخفيفاً . ولا بد أن يصحب هذا التحويل أحياناً شيء من تغيير وتبديل: كأن يكون الفعل لازماً فيصبح متعدياً (كزحل) وزحّ . أو ثلاثياً فيصبح رباعياً (كمدّج) وأحدّ . أو يكون معنى الفعل عاماً فيصبح خاصاً كقطع وقطّ الذي خصوه بالقطع العرضي أو بقطع الشيء الصلب . وكمرق ومرّ فقد خصوا المروق بما كان مروره كالسهم في السرعة . وقمش وقمّ . خصوا الأول بما جلّ من الفتات ولم يكن مستقذراً بينما هم يستعملون فعل (قمّ) فيما دقّ من الفتات واستُقذر غالباً . كفعل (كنس) .

أتيت بهذا التفريق بين فعلي (قمّش وقمّ) من عند نفسي . لما لاحظته في قولهم قماش البيت أي أمتعته المتفرقة فيه هنا وهناك ، وهي غير مستقذرة . ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش بمعنى الأثواب المنسوجة . لما أنها ستصبح قماشاً مبعثراً في جنبات البيت . وهكذا نرى العرب يحدثون بعض التغيير في بعض هذه الأفعال المضاعفة التي حولوها عن الفعل الثلاثي السالم .

*
**

وننتقل الآن الى اللغة العامية او اللهجة العامية . ونذكر طريقتها في بعض الأفعال السالمة والمضاعفة .

قلنا آنفاً إننا ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة والفرعية المضاعفة وهي قَطَعَ وقَطَّ وبَتَرَ وبَتَّ وكَدَحَ وكَدَّ . وقد تكرر نطقنا بها واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرر والاستعمال الطويل طريقة أسلافنا أو غريزتهم فيما كان على مثالها من الأفعال حتى احداث التغيير والتبديل فيها .

ثم قالوا زلق وكدح وقطع ثم ساقتهم غريزتهم الى استطالتها . فعدلوا عنها الى زلَّ وكدَّ وقطَّ .

هذه الغريزة نفسها انتقلت الينا من حيث لا نشعر وجعلتنا نحن العامة نستطيل صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة فنحولها الى أفعال مضاعفة مولّدة أي غير موروثة عن العرب ولا يعرفونها . طبق ما فعلوا هم حتى احداث التغيير والتبديل فيها .

استطلنا فعل (تفل) فاختزلناه وقلنا (تفَّ) . كما قالوا هم في بتر ، بتَّ .

فعل (تفل) هو الفصيح المدون . أما فعل تفَّ الذي هو بمعنى (تفل) تماماً أي البصق الخفيف فدخيل مولد . ولدته الغريزة الموروثة المستقرة في طيات نفوسنا معشر العرب الخالفين . ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سليقته الى فعل (تفَّ) . وانما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالدة نطقت به واهتدت اليه بغريزتها الموروثة عن أمة العرب السالفة .

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا :

١ — (تفل) : استطالها العامة فاختزلوا منها (تفَّ) .

٢ — (بَصَرَ به) : 〃 〃 〃 〃 (بَصَّ) .

(تستعمل العامة بصَّ بمعنى نظر الى الشيء ولا يوجد هذا المعنى لبصَّ في اللغة الفصحى وانما معناه فيها برق ولمع . تقول نظرت في الظلمة عيناً تبص أي تلمع . ولها بصيص أي لمعان .

٣ — (قحب) : استطالها العامة فاختزلوا منها (قحَّ) .

وفعل (قحّ) قد نكون ولدناه وحاكينا به صوت السعال . على أن فعل (قَحَبَ) نفسه قد يكون من محولات الصوت . أي من الأفعال التي حوكي فيها الصوت واستوحي لفظها منه . وهي كثيرة في اللغة كفعل (رَنَّ) مثلاً الذي قالوا انه محول من صوته أي صوت الرنين .

(طَمَرَ) : استطالها العامة فاختزلوا منها (طَمّ) .

وفي كتب اللغة (طمرَ الشيء) دفنه وخبأه تحت التراب . والمطامير حفر تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب . وعامتنا تقول (طمّ) الشيء بالمعنى نفسه . وليست (طمّ) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطمر . وانما تجيء بمعنى غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها . وطمت الجارية شعرها جزّته . ومنه المطمومات . فطم الشيء بمعنى دفنه تحت التراب من لغة العامة وهو محول من فعل طمر الفصيح .

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرها أما مثال الاسم فمنه قول العامة (نُصّ) في (نِصْف) . فالأفعال الأربعة : (تفّ ، وبصّ ، وقحّ ، وطمّ) والاسم الأخير أعني (نصف ونص) من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين الذين نسميهم عامة وعواماً ورثوا غريزة أسلافهم العرب فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة وبالاسم (نصف) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفاً . واستعملوها مطمئنين الى حسن صنيعهم واثقين من أنهم فيه انما يجرون على مقياس قاس به أسلافهم .

ويحسن أن نعترف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو (نص) المختزلة من نصف مزيةً على سائر الألفاظ العامية الأخرى لما أنّ تولدها أشبه بتولد كلمات اللغة الفصحى .

فلا غرو اذا عددناها وأمثالها من الفصيح وأثبتنا لها حقاً في الحياة وتدويناً في المعاجم اللغوية الجديدة عملاً بالقاعدة المأثورة : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما قاسته العامة على كلام العرب وتصرفت فيه تصرفهم في تحويل الفعل الصحيح الى مضاعف قولهم في جحمت النار أي اضطرمت جحّت النار لكن لا بمعنى اضطرمت واشتعلت بل بضدّ هذا المعنى فهم يريدون من جحّت خمدت وتحول جمرها الى فحم[١] ·

ويشبه الإرث المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم ارث آخر ورثنا طريقته من العرب ولهذا الإرث علاقة (بالثنائية) التي يدعو اليه العلامة الأب مرمرجي : ذلك أن العرب يختزلون من الاسم الثلاثي اسماً ثنائياً بمعنى الأول يحذف حرف منه فيقولون في (يدي) يد وفي (دمو) دم وفي (ابو) أب · ثم هم أي العرب في لغاتهم أو قبائلهم يعودون (وكأنهم ندموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون الى هذه الثنائيات : (يد) (دم) (أب) فيشددون أواخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها · ويقولون يدّ (لغة في اليد كما في التاج ومثل له بقول الشاعر :

(يجازوهم بما فعلوا اليكم مجازاة القروم يداً بيدّ)

ويقولون دمّ بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرك التاج) ويقولون أبّ بالتشديد (قال في المصباح وفي لغة قليلة تشدد الباء عوضاً عن المحذوف) ·

هكذا كان يفعل العرب · وقد أخذنا نحن العرب المتأخرين نحذو حذو أسلافنا ونقلدهم في طريقتهم المذكورة من حيث لا نشعر · فقلنا في (قحة) من الوقاحة (قحّة) بتشديد الحاء · وفي (جمة) التي أصلها (جمو) جمّة بالتشديد أيضاً كأن سليقتنا تأبى الا الثلاثية كما كانت تأبى ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألفاظ لغتهم ·

وفي اللهجات العامية أسرار أخر ينبغي تتبعها ولا يحسن إغفالها ·

المغربي

---

(١) جحت لهجة سورية ساحلية أما في دمشق فيقولون جحرت النار بزيادة راء ·

الخزائن العامة في استانبول

وأشهر مخطوطاتها

العناية بالخزائن :

عُني العرب عناية كبيرة بالتأليف والتدوين والنقل والترجمة منذ فجر حضارتهم ، وأخذوا لذلك بجمع الكتب والأسفار ، وسهلت في أعينهم الرحلات الطويلة للحصول عليها ، حتى اجتمعت لديهم خزائن كثيرة كانت تغص بها الغرف والمقاصير حتى كانت تملؤها إلى السقوف .

وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يشاركون العلماء هذا الاحساس فأسسوا دور الكتب العامة يختلف اليها المطالعون منذ القرن الثاني للهجرة . وقد وصف ابن النديم ما كانت تحويه هذه الدور ، وفهرس لبعضها ، ووصل الينا كتابه فعرفنا عناية القوم بالجمع والحفظ ، وعرفنا غرامهم بالخزائن وعشقهم الكتب .

ولم يكن العرب المغاربة في الأندلس أقل عناية من المشارقة بالكتب وارتياد الخزائن ، فكانت قرطبة تنافس بغداد ، وغرناطة تزهى بكثرة ما تملك منها في خزائنها العامة . وسرت عدوى الكتب في الأفراد فتسابقوا إلى اقتنائها . واستوى في ذلك العالم الفقير والجاهل الغني . فقد كان الأغنياء والموسرون يجدون من أسباب الفخر أن يقتنوا نسخة فريدة أو كتاباً نادراً ولو أن كثيراً منهم لم يكن يفقه شيئاً من أمر الكتب والنسخ .

واقتدت القاهرة بأختها بغداد وقرطبة فخصت جانباً كبيراً من نشاطها العلمي بجمع الكتب وعمارة الخزائن ، حتى لقد قدّر المقريزي وابن خلكان عددها

في بعض الخزائن بعشرت الآلاف . ولم يكن الشام متخلفاً في هذا الميدان وانما أنشأ المدارس ، وجعل فيها الخزائن ، وأغناها بنوادر الكتب .

ولكن هذه الخزائن جميعاً أصابها ما أصاب أصحابها من نكبات وخسائر على مدى الزمن ، فقد توالت الغارات وتتابعت الحروب ، واختلفت الدول ، فهدّ ذلك من جوانب النشاط الثقافي ، وفترت همم القوم ، وتهدّم من بنيانهم ما كان عامراً ، وتفرّق من ثروتهم ما كان مخزوناً ، فتلفتوا إلى معايشهم ، واقتصروا على تدبير حياتهم ، وانصرفوا عن لذة العلم الى النضال والكفاح ، لذلك أقوت المدارس وأقفرت الخزائن ، فسطت عليها التراب والأرضة ، وعبثت بها الأيدي وتقاذفها حب التجارة ، وأصبح أمر الكتب إلى قوامين لا يفقهون غناها ومديرين لا يعرفون عظمة مقتناها ، فتفرقت شذر مذر ، وسافر بعضها بعد فتح السلطان سليم الى الأستانة ، وحُمل بعضها الآخر بعد حملة نابوليون الى باريز وبرلين ولندن وروما وڤينا واكسفورد ولنغراد وليدن وتوبينكن وكوبنهاغ وابسالا . وربما بيعت هذه المخطوطات النفيسة بدراهم معدودات ، أو أهديت كما تهدى الأثواب المزركشة والثياب المزخرفة ، فقد مات عنها جامعوها ، وقضى عنها واقفوها ، وليس للورثة علم بأمرها أو تقدير لثمنها . أما المخطوطات التي سافرت الى أوربا ، فقد اتخذت مكانها الجليل في عواصمها ، وخصّت بها الأيدي الرحيمة الشفيقة ، فعطفت عليها وأحبتها ووقفت منها موقف الميراث القومي ، فوضعتها للعلماء وأعلنت لهم أرقامها وأسماءها وأوصافها . وجعلتها في قصور عامرة ، ومتاحف فاخرة ، أو في قلب الجامعات ؛ فأصبحت تزهى كل حاضرة منها بما اقتنته من نوادر الجواهر ونفائس الذخائر من كتبنا العربية .

خزائن استانبول :

أما خزائن استانبول فقد تولتها السعادة واحتضنها الغنى منذ فتوحات السلطان سليم الأول (١٥١٢ — ١٥١٩ م) ، واستيلاء جيوشه على الممالك المغلوبة

فجمعت خير ما فيها ، وساقت أسلابها الى عاصمة الملك . وقام العلماء بجمع المخطوطات العربية النادرة من عواصم العرب وخواضرهم وساقوها كذلك الى متاحف القسطنطينية وقصورها وجوامعها ومدارسها ارادة أن تصبح الأستانة قبلة العالم الاسلامي كله .

وتنافس السلاطين في اقتناء هذه النفائس وانشاء الخزائن فقام السلطان سليم والسلطان سليمان والفاتح بجمعها والعناية بها ، واقتدى بهم شيوخ الاسلام كفيض الله وولي الدين وعاشر وعارف حكمت ، وسار على خطتهم وزراؤهم مثل محمود باشا ، وأمرة كوبريلي ، وراغب باشا وعمومه حسين باشا ، وشهيد علي باشا ، وحذت حذوهم زوجات السلاطين والعلماء حتى كثرت أسماء دور الكتب ، وضلّ المراجع في التمييز بينها ومعرفة مكانها ، واختلفت عناوينها ، وتبدلت مساكنها ، فقلت الاستفادة مما فيها ووقف كثير دون الحصول على معلومات عنها .

والحق ان في هذا الخزائن أصول مخطوطات العالم العربي والغربي . ويندر أن يقع في العالم مخطوط لا أثر في خزانة من خزائن استانبول لأمه أو أصله أو مصدره أو نسخة جميلة صحيحة قديمة منه . فاذا حدث ذلك فمردّه الى ضياع كثير من هذه المخطوطات ، فقد اختلفت عليها أسباب السرقة والتلف ، وتناقلتها الأيدي المجرمة ، وأصابتها العوادي والحدثان من حريق وزلازل .

ولم نقع في اللغة العربية على كتاب يهدينا الى أماكن هذه الدور وما تحويه من أسماء الخزائن المختلفة (١) نرجع اليه فيسهّل علينا معرفة ما نريد في سرعة

(١) جاء في مجلة المقتبس ج ٥ ص ١٠٦ ان العالم أحمد زكي باشا ؤ. كتب تقريرا بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في استانبول . ولو وصل الينا هذا التقرير لكان من ورائه خير لنا واصلاح لما قد تخطيء فيه من اسماء الخزائن وجامعها . وقد وقفنا على وصف دخوله الى طوبقبوسراي في كتاب الاستاذ فيليب طرازي « خزائن الكتب العربية في الخافقين » وفيه خص خزائن استانبول بست صفحات ٢٠١ - ٢٠٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويسر . ويبين لنا ما آلت اليه حال هذه الخزائن ، ويصف ما استقرت عليه هذه الدور ، وإدارتها وطريقة الاستفادة منها .

ولقد خيل لكثير من العلماء أن دون الوصول الى هذه المخطوطات مصاعب ومشقات ؛ مع أنها في تنظيم جميل ، ويسر كبير ، وهي مفتحة الأبواب ، انتقلت خلال الحرب الأخيرة الى مخابئ أمينة في الأناضول ، كما انتقلت زميلاتها من برلين الى بيرون ، ومن لندن الى الضواحي ، ومن دار الكتب المصرية الى جبل المقطم ، ولكنها عادت كلها إلى قواعدها مع سكون العاصفة وهدوء المدافع .

وكانت هذه الخزائن موزعة قديماً في نيف وأربعين داراً ترتبط بوزارة الأوقاف كما هي الحال في الشام كلها . ثم ألحقت بوزارة المعارف ، وهذه وحدتها ، وجعلتها في خمسة عشر داراً ، ومنها ما جعل في قصور السلاطين والجوامع والمدارس والجامعة .

وقد زارها الأب شيخو سنة ١٩٠٤ [1] فقدر عددها بثلاثين ألفاً من المخطوطات ، وأنى له أن يقف على حقيقة احصائها ، ولم تكن في ذلك الحين سهلة الأكناف ، فقد وقف أحمد زكي باشا بعد خمسة وعشرين عاماً دون أن يستطيع الدخول الى بعضها إلا « بفرمان شاهاني » فكتب يصف طوبقبو يومئذ [2] :

« فيها خزانتان لا تزالان الى الآن : احداهما مشحونة بنفائس الكتب والدفاتر . والثانية مرصودة لغوالي الذخائر ونوادر الجواهر . فأما الأولى فكان محظوراً على الناس كلهم أن يدخلوها سوى أمير المؤمنين بحاشيته ورجال دولته في موسمين اثنين لا ثالث لهما : يوم الجلوس على العرش وليلة القدر .

أما الثانية فكان فيها ولا يزال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكن الدخول لم يكن مباحاً إلا بارادة سنية » .

---

(١) انظر مجلة المشرق ١٠٦٤/٧ ، سنة ١٩٠٤ م .
(٢) مجلة الآثار الشرقية ٧١/٤ ، سنة ١٩٢٩ م .

ذلك ما حال دون معرفة هذه الخزائن وما ضمت وعدد ما فيها من الأسفار . وقد دلّ إحصاء أخير لهذه المخطوطات الشرقية سنة ١٩٥١ انها تقرب من مئة وعشرين الف مخطوطة .

وهذه المخطوطات لا يتسع لها مبنى واحد ، ويتعذر حشرها جميعها في مكان بعينه مخافة عوادي الدهر ومصائب الحروب . ولولا ذلك لكان من الخير أن تجمع المخطوطات العربية كلها في بناية واحدة وتوزّع على أنواع العلوم فتجمع كتب التاريخ من الخزائن كلها في جناح واحد ، وترتب دواوين الشعر وكتب الأدب في جناح آخر ، وتجعل مراجع الفقه والسنن في جناح ثالث وهكذا . ولكن نقر الأتراك بالرجال المعنيين بالعربية وقلة من يهتمون بالوقوف على مخطوطاتها دعا المفهرسين الى أن يعملوا في حذر وبطء . ولا تظهر نتائج جهودهم الا في سنوات بعيدة إذا لم يعمل علماء العرب جنباً الى جنب في الافصاح عن هذه الكنوز والكشف عن مزايا هذه الخرائد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهارس الخزائن :

وما يزال الباحثون يعتمدون على الفهارس القديمة التي طبعتها نظارة المعارف بين سنة ١٣٠٠ – ١٣١٢ ﻫ في أربعين جزءاً ونيفاً ، بعناوين تركية وتعليقات بالتركية ومقدمات موجزة جداً . فجاءت في هذه الدفاتر عناوين الكتب مشفوعة بذكر الأجزاء وأسماء المؤلفين على شكل قوائم . وذكر في الملاحظات ما للغلاف من زخرفة وما في الصحف من مداد . فهي جرائد لاحصاء ما في هذه الخزائن . وقد تجاوز في السطور والصفحات ذكر الكتب المخطوطة والمطبوعة ، واختلطت اللغات التركية والفارسية والعربية فلم تفرد فيها لغة عن لغة ومخطوط عن مطبوع مما يجعل الرجوع اليها عقيماً . وليس هذا فقط فقد أصابها تصحيف وتحريف يعمّي على الباحث سبيل الاهتداء الى الصحيح . ويبدو أن من صنع

هذه الدفاتر ممن لم يقفوا على أسرار هذه الصناعة ولم يتقنوا العربية ومصادرها اتقاناً يقربهم من الصواب . وقد سجل المفهرسون في سجلاتهم ما شاهدوه على ظهر المخطوطات من عناوين وأسماء ، بل نقلوا غالباً عن الورقة الأولى ما يحويه الكتاب من عنوان كتب بيد متأخرة أو جاهلة فارتكبوا بذلك خطأً فادحاً . وقد يكون على الورقة ما ليس في الكتاب ، فيقع في الشعر ما محله التاريخ ، ويقع في الفقه ما مكانه الأدب ، ناهيك بما أصاب الأسماء من أخطاء مطبعية فاحشة .

وهذه الفهارس على ضعفها وخطئها نافعة أشد النفع فهي وحدها عمادنا في معرفة محتويات الخزائن ، وهي وحدها كانت عوناً للعالم الكبير كارل بروكلمن في تاريخه عن الأدب العربي ؛ ففيها صواب كثير وخطأ لا بدَّ منه ؛ ويحسن بنا أن نحتاط في قراءتها حتى تتم فهارسها العلمية .

قام عدد من علماء المشرقيات بزيارة هذه الخزائن فهالتهم كثرة الأخطاء وشدة التصحيف في الفهارس ونزلوا استانبول ، وعاشوا على مقربة من هذه الكتب ، ووقفوا أجمل أيامهم على تصفحها وقراءتها ووصفها . فأرادوا أن يعملوا لها ما عمل زملاؤهم لخزائن اوربا وحواضرها كبرلين ولندن وباريز ومدريد وتوبنگن وليدن ورومة وكوبنهاغ ، يذكرون عدد الاوراق والسطور ، ويرسمون الأبعاد والحجوم ، ويسجلون فواتح النسخ وخواتيمها ثم يصفون النسخة وما تقلب عليها ؛ ويقرِّبون أحياناً بينها وبين أخواتها من خزائن العالم .

وأكثر هؤلاء الباحثين فيما نعلم جاءوا من ألمانيا مدرسين ومعلمين فاهتموا بهذه النوادر والفرائد ، وكتبوا نتاج دراساتهم وبحوثهم في مجلات أوربا وصحفها بلغتهم ، ونشروها منذ خمسين عاماً وما يزالون ينشرون إلى اليوم في هذه المجلات ملاحظاتهم ودراساتهم لهذه المخطوطات .

ويصح أن تعتبر محاولاتهم نواة لفهرس عام عربي منظم ، واذا ما جمع بعضها الى بعض كونت جزءاً مهماً من فهرس المخطوطات التي لم توصف الى اليوم .
وهذا ما صنعناه ، فقد جمعنا مقالات هؤلاء العلماء من صحف مختلفة ، بعضها قديم نادر ، ومنها ما طبع خلال الحرب فأصبح نادراً . واستقصينا ما ظهر في هذه الخزائن فجاءت في سفر غير صغير ، حاولنا أن نظهر عليه قراء العربية ، وأن نشرك العلماء في السرور بهذه المعرفة ، وبخاصة من لا تصل يده الى هذه الصحف ، أو من يقف دون جمعها وفهمها وتفتر همته دون ترجمتها .

وأرى من الواجب هنا تزجية الثناء الكريم على المستشرق الأستاذ رشر O. Rescher فقد تفضل ودفع الينا نسخه الخاصة التي اقتطعها من الصحف القديمة ورجانا في تواضع علمي أن لا يذكر على منحه هذه ، ولكننا نأبى إلا أن نعلن فضل العالم على المتعلم والمحسن الى السائل .

ونضم بحوث الأستاذ رشر الى مقالات غيره من المشتغلين بالمشرقيات في وصف المخطوطات العربية ، ثم نذيل ذلك بما وقعنا عليه من مخطوطات استانبول نصفها كما وصف المستشرقون أخواتها . وقبل أن نشرع في الترجمة نحب أن نصف حال هذه الدور ومواقعها من استانبول كما رأيناها منذ شهور ، ونذكر عدد مخطوطاتها وما تحويه من خزائن اجتمعت فيها ، معتمدين في ذلك على ما نشره الأستاذ يوسف شاخت Joseph Schacht في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٢ (١) من قوائم الخزائن كما رآها لذلك الزمن ؛ ناقلين عن الأستاذ مظفر گوكمن M. Gökman (٢) مدير خزانة بايزيد العمومية جداول الخزانات واحصاء

(1) Zeitschrift für Semitistik und vermandte Gebiete, Leipzig. 1927 Bd V, 288—293 ;Bd. VIII, 120—121.

(2) Istanbul Kütübhaneleri Rehberi, M. Gökman, Bayazit Umumî Kütüphane Müdürü, Istanbul 1951. 28 pages

المخطوطات في كل منها . فهو خبير في الموضوع . وعارف بجيرانه مديري الخزائن وما عندهم من كنوز .

مواقع الخزائن في استانبول

تقع جل الخزائن في القسم الغربي من استانبول أي في القسم الأوربي من القارة ، وتحتل الأماكن القديمة التاريخية كقصور السلاطين والجوامع الأثرية والمدارس . وكأنها تمتد من طرف البحر شرقاً إلى داخل المدينة غرباً ؛ لذلك سنعمد إلى وصفها متابعين سيرنا من الشرق الى الغرب ؛ في إيجاز يضطرنا اليه ضيق المجال . ولكننا لن نغفل عن الاشارة إلى محتوياتها وغناها حين نصف المخطوطات .

١ – طوبقبو سراي : تحتل هذه الخزانة أحد الأبنية الفخمة من سراي طوبقبو الشهير ، وقد حوّلته الدولة الى متحف أثري ؛ فخصت بمخلفات السلطان احمد الثالث وبغداد كوشكي وأمانت وغيرها ؛ وعدد المخطوطات الشرقية فيها يزيد على سبعة عشر الف مخطوطة وهي لم تفهرس الى اليوم في «دفاتر» مطبوعة شأن غيرها لأنها كانت محرّمة على الجمهور . ولكن السجلات الخطية معروضة يرجع اليها الباحث اليوم في معرفة الأرقام والأجزاء ؛ وهي تابعة لمدير المتحف ؛ وفيها خزنة ومناولون ، وتقع في مكان جميل في قلب الحدائق يجتاز اليها المطالع مسافةً غير قليلة تحت الأشجار في ممشى حجري طرقته سنابك الخيول وعربات السلاطين وشهد المجد والحكم .

٢ – أياصوفيا : وهي تقع على مسافة قريبة من الأولى ، في جامع أياصوفيا وهو اليوم متحف أيضاً شهد القدم والعظمة . والخزانة في قلب الجامع الى أقصى اليمين في غرف محاطة بسياج وأبواب من حديد . وهي تحوي ما يقرب من خمسة آلاف مخطوط ؛ لها فهرس مطبوع ومدير وخازنان يقومون بخدمة المطالع

وفيها مجموعة غنية من الكتب القديمة رائعة التجليد مزخرفة موشاة ، كتبت أكثرها بأقلام مؤلفيها ، وهي من مخلفات السلطان محمود الثاني والسلطان الفاتح وغيرهما .

٣ — كوبريلي : وتقع على مسافة غير بعيدة ، قد جعلت في مدرسة صغيرة تشرف على الشارع العام ، خلفتها أسرة كوبريلي ومحمد عاصم بك والسلطان احمد . وتبلغ عدد نسخها قرابة (٢٥٠٠) مخطوطة . ولها فهرس مطبوع ، وقاعة للمراجعة يحجب بينها وبين جدران الخزانة فاصل خشبي ، ولها خازن ومناول ، وفيها كتب قديمة نادرة .

٤ — نور عثمانية : وتقع في الطرف الأيمن المقابل يصل بينهما شارع غير طويل . وهي في احدى غرف جامع نور عثمانية أنشأها السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٥ م ، وفيها مخطوطات السلطان محمود الأول ، ويبلغ عدد ما فيها قرابة خمسة آلاف مخطوطة ولها خازن يقوم برعايتها وفهرس مطبوع قديم .

٥ — بيازيد : وهي الى الطرف الأيمن من ساحة بيازيد قبالة باب جامعة استانبول ؛ وتسمى المكتبة العمومية ، وفيها قرابة ثمانية آلاف مخطوط ، يرتادها المطالعون والطلبة لقربها من الجامعة ، يقرءون فيها كتبهم ويراجعون دروسهم ، وهي منظمة على طراز حديث ، تحجز فيها الأماكن ، وتتوفر فيها الفهارس على جزازات علمية وهي في ذلك شبيهة بجامعات الغرب . ويقوم على إدارتها عالم متخصص هو الأستاذ مظفر گوكمن M. gökman ، ويعاونه في مهمته عدد غير قليل من خزنة وموظفين .

٦ — ولي الدين : الى الطرف الأيمن من جامع بيازيد بجوار المكتبة العمومية السابقة . وهي في غرفة متواضعة يزيد ما فيها على ثلاثة آلاف مخطوطة أكثرها

قديم ونفيس وما خازن يقوم عليها ، وفيها خزانة شيخ الاسلام ولي الدين وجودة باشا وغيرهما .

٧ — جامعة استانبول : وهي خزانة حديثة في بناء مستقل يفصله عن الجامعة وقاعاتها شارع ضيق . وفي هذه الخزانة سبعة عشر الف مخطوطة كلها مفهرسة على جزازات لم يطبع منها إلا الجزء الأول فقط في المصاحف والقراءات [1] نشره مدير الخزانة العام الأستاذ فهمي أدهم قرهطاي ؛ وتحوي نفائس من مخطوطاتنا وفرائد من كتبنا بعضها حديث وأكثرها قديم نادر . ويقوم في البناء نفسه المعهد الشرقي لكلية الآداب بجامعة استانبول ويرأسه الأستاذ احمد آتش Ahmed Ates ، وهو يعنى بنشر الكتب القديمة والمخطوطات النافعة .

٨ — سليمانية : الى مقربة من خزانة الجامعة ، يفصل بينها وبين جامع السليمانية الشهير شارع عريض . وهي في مدرسة جميلة تجمعت فيها خزائن غنية تعد من أغنى خزائن استانبول وأعظمها ، وفيها أربع وعشرون خزانة قديمة ، يزيد عدد ما فيها على إحدى وثلاثين ألف مخطوطة فهي أهم خزائن تركيا . ولأكثر خزائنها فهارس مطبوعة ، وفيها قاعة صغيرة للمطالعة وموظفون يعملون ليل نهار في فهرسة المخطوطات على أسلوب علمي حديث يعاونهم في ذلك الأستاذ O. Rescher . ويرأسها الدكتور مصطفى كويمن Dr. Mustafa Köymen وفي هذه الخزانة أكبر آلة لتصوير المخطوطات .

٩ — عاطف افندي : وتقع خلف السليمانية ينحدر اليها الزائر في أزقة ضيقة ، وهي في مدرسة صغيرة لطيفة تحوي ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط يديرها خازن ومناول ؛ وكتبها من مخلفات الدفتردار عاطف افندي ، وفيها نفائس وفرائد .

(1) Istanbul üniversitesi Kütüphanesi, Arapça Yazmalar Katalogu, Fehmi Edhem Karatay, Istanbul 1951, 136 pages.

١٠ – فاتح : تقع في الشمال الغربي من المدينة تجاور جامع الفاتح المشهور . وفيها ما يقرب من ستة آلاف مخطوط ، من مخلفات السلطان الفاتح ومحمود الثاني ، وفيها مدير وخازنان وغرفة ضيقة للمطالعة .

١١ – ملت : تقع غير بعيد عن الفاتح وفيها ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط ، تحوي أشهر الخزائن كفيض الله افندي وولي الدين جار الله وبرتو باشا وعلي أميري افندي وحكيم أوغلي علي باشا ، وأكثرها لم ينشر في فهارس مطبوعة ، وانما وضع على جزازات واضحة حسنة . ولها قاعة للمطالعة ومدير وخازن .

١٢ – مراد ملا : جعلت على مقربة من ملت ، وفيها من مخلفات السلطان عبد الحميد الأول وبعض شيوخ الاسلام نفائس الكتب ونوادرها ما يقرب عدده من خمسة آلاف مخطوطة . وفيها من يقوم بالفهرسة وخدمة الباحثين .

١٣ – راغب باشا : غربي بيازيد على الشارع العام في بناية لاله لي أسسها الوزير راغب باشا سنة ١٧٦١ م . وهي تحوي ما يقرب من ألفي مخطوطة أكثرها مفهرس معلوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

ويسود في هذه الخزائن الهدوء والنظام وتبدو فيها النظافة والعناية ، ويرتادها الطلبة الدارسون لا يجدون غيرها لمراجعة بحوثهم . وقلما تقع فيها على باحث عن المخطوطات العربية لبعد القوم عن هذه اللغة ، وعزوفهم عن مباحثها ، وقلة تعلقهم بماضيها . فالمستعربون قلة في هذه الربوع ما نكاد نعرف من أساتيذهم فيها إلا الأستاذ مكرمين خليل والأستاذ فؤاد سوزكين والأستاذ أحمد آتش ، وقد تفضل هذا الأخير فرافقنا في أكثر هذه الرحلة فله علينا اليد البيضاء الواسعة .

بقي من هذه الخزائن العامة اثنتان هما خزانة سليم آغا بأيوب ، وخسرو باشا بأسكدار ، لم نستطع لضيق الوقت قراءة مافيها ومطالعة نفائسها . وعذرنا في هذا التقصير أن الطريق – كما ذكرنا – لم تعبد قبلنا في وصف هذه الخزائن بأسباب .

وكل ما نعرف عن هذه الخزائن مختارات و قوائم قام بنشرها واعلانها في الجمهور العربي أستاذنا الرئيس محمد كردعلي وشيوخنا في هذا الباب احمد تيمور باشا والشيخ طاهر الجزائري واحمد زكي باشا ؛ قرأناها في مجلات الهلال والمقتبس ومجلة المجمع العلمي العربي . وهي نوادر وفرائد حبذا لو قام المخلصون من شبابنا في العمل لها والسعي لنشرها نشراً علمياً صحيحاً في مقدمات نافعة وفهارس واسعة وتعليقات وافية تعيد الى الأحفاد كنوز الأجداد ويكون من آثار الخلف ما يقف لآثار السلف ، ويعود للغة العربية سالف مجدها وقديم عزها فتستعيد مكانتها ويكتب لها البقاء والخلود .

وسنبسط في الجداول الآتية تفصيلاً لما أجملنا ، وتوضيحاً لما أوجزنا فنجعل في الجدول الأول قائمة بالدور الموجودة والى جانبها ما تحويه من خزائن ، مع ذكر عدد المخطوطات التي تحويها كل منها .

وفي الجدول الثاني رتبنا الخزائن الصغيرة على حروف الألفباء يرجع اليها المطالع ليعرف مكان وجودها من الدور العامة اليوم .

وجعلنا في الجدول الثالث قائمة الفهارس المنشورة حتى الآن ، لعل القارئ يعود اليها في معرفة ما يطلبه من مخطوطات ، ليقف على ما بقي منها طي الخزانات من غير فهرس منشور أو دفتر مطبوع .

وقد أغفلنا ذكر الخزائن التي تحوي مخطوطات شرقية وتندر فيها المخطوطات العربية العامة وهي خزانة البلدية وخزانة التركيات وخزانة المتحف ؛ كما ضربنا صفحاً عن الخزائن التي تحوي المطبوعات فقط .

وبعد انتهاء هذه الجداول نشرع في التعريف بالمخطوطات كما وصفها المستعربون من علماء المشرقيات خدمة للدارس الباحث . والله من وراء القصد .

* * *

الجدول الأول :

خزائن استانبول وعدد مخطوطاتها

(مرتبة على حروف الألفباء)

	عدد المخطوطات
ا – أياصوفيا [1] :	
(١) خزانة السلطان محمود	٤٨٦٣
(٢) سعد الدين المبتقى	١١٣
(٣) لواقف مجهول	٢٢
ب – بيازيد (عمومية) [2] :	
(٤) من واقفين مختلفين	٦٧٨٧
(٥) حكيم اوغلى وادريس باشا	
(٦) عمر افندي (رئيس الأطباء)	
(٧) الطرابزوني (حسين افندي)	
(٨) مناسترلي (اسماعيل حقي)	
(٩) نامق بك وبزمي عالم سلطان	
(١٠) ثابت بك	
(١١) وزارة المعارف	
(١٢) محمد أشرف	
(١٣) حسن فهمي باشا	٦٠
(١٤) لطفي بك	١٧
(١٥) محمد ذهني أفندي	٥٠
(١٦) توفيق باشا	٥٣

(١) عنوانها : Sultanahmed, Ayasofya Müzesi

(٢) عنوانها : Beyazit Imaret cad. No 21

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	عدد المخطوطات
(١٧) عارف بك المتزوي	١٣٠
(١٨) حافظ داود باشا	٣١
(١٩) علي حيدر أفندي	١٦
(٢٠) سليمان توفيق	١٧
(٢١) خليل شريف باشا	٩١
(٢٢) چركس (شيخ توفيق)	٢٩
(٢٣) ترناوولي (محمد)	١٣
(٢٤) عبد النافع أفندي	١٩
(٢٥) قره مصطفى باشا	٤٨٣
(٢٦) ذهني باشا	٤
(٢٧) اسماعيل فني ارطغرل	١٠

جـ — جامعة استانبول [1] :

(٢٨) مختلفة (يلديز ، خالص ، صاحب ملاّ)	١٧٧٤٨

د — خسرو باشا [2] :

(٢٩) خسرو باشا	٤٩٨
(٣٠) بشير آغا	٣٠٠
(٣١) جامع أيوب	١٩٢
(٣٢) مهرشاه سلطان	٤٤٣
(٣٣) اسميخان سلطان	٤٣٨
(٣٤) حسن حسني باشا	٦٠

(١) عنوانها : Bayazit Süleymanie cad.
(٢) عنوانها : Eyüp Bostan Iskelesi No 7

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	عدد المخطوطات
ه - راغب باشا [١] :	
(٣٥) راغب باشا	١٥٠٣
(٣٦) توفيق يحيى (مدرسة)	٣٥٥
(٣٧) مصلى (مدرسة)	٧٠
(٣٨) بكي مدرسة	٥٩
و - سليم آغا [٢] :	
(٣٩) حاج سليم آغا	١٢٣٩
(٤٠) هدائي افندي	٧٥٠
(٤١) هاشم باشا	١٠١
(٤٢) كانكش أمير خوجه	٦٩٥
(٤٣) يعقوب آغا	٣٠
(٤٤) حسين كاظم	٩
(٤٥) نورنبي سلطان	١٥٧
(٤٦) گولنش والدة سلطان	١٠١
ز - سليمانية [٣] :	
(٤٧) سليمانية	١٠٣٩
(٤٨) عموجه حسين باشا	٤٥٦
(٤٩) نظيف افندي	٤٧
(٥٠) عاشر افندي (شيخ الاسلام)	٤٧١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) عنوانها : Laleli Ordu Cad. No 225
(٢) عنوانها : üsküdar atlamatasi Cad. No 21
(٣) عنوانها : Elmaruf Mah Ayse Kadin Sok. No 35

	عدد المخطوطات
(٥١) مصطفى افندي	١٢٣٩
(٥٢) حميد افندي	٤٢٥
(٥٣) بغدادلي وهبي	١٥٥٧
(٥٤) بشير آغا	٥١٤
(٥٥) عبد الله چلبي	٣٨٣
(٥٦) چورلیلی علي باشا	١٤٢٦
(٥٧) داماد ابراهيم باشا	١١٥٢
(٥٨) دوكلي بابا	٢٦٧
(٥٩) اسعد افندي	٣٧٣٥
(٦٠) گولنش سلطان	٦٩
(٦١) حافظ احمد باشا	٣٦
(٦٢) حالت افندي	٨٢٤
(٦٣) قره چلبي حسام الدين	٣٦٣
(٦٤) أزميرلي اسماعيل حقي	١٨٠
(٦٥) قليج علي باشا	١٠٣٠
(٦٦) لالەلي	٣٨١٠
(٦٧) محمود افندي	٢٦٠٠
(٦٨) محمود باشا	٣٧٧
(٦٩) أزميرلي مصطفى افندي	٦٠
(٧٠) رستم باشا	١٦٣
(٧١) يوسف آغا	٣٧٢
(٧٢) جامع محمد آغا	١٦٦

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	عدد المخطوطات
(٧٣) قاضي زاده محمد أفندي	٥٦٩
(٧٤) مسيح باشا	١١٣
(٧٥) نافذ باشا	١٥١٨
(٧٦) پرتو نيال	٣٣٥
(٧٧) صالحة خانم	١٠١
(٧٨) خوجه سيّد	١٧
(٧٩) سراز	١٠٠٨
(٨٠) سروبلي	٢٥٠
(٨١) شهيد علي باشا	٢٨٧٠
(٨٢) شاه زاده	١٢٠
(٨٣) والدة سلطان	٧٠
(٨٤) يكى جامع	١١٩٧
(٨٥) ترخان سلطان	٣٣٦
(٨٦) زهدي بك	١٤٣
ح — طوپقپو سراي [١] :	
(٨٧) روان كوشكي	٢٠١٨
(٨٨) خزينة	٢٠٢٢
(٨٩) بغداد كوشكي	٤٦٩
(٩٠) مدينة	٥٦٦
(٩١) أمانت	٣١٦٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) عنوانها : Topkapi Saray.

	عدد المخطوطات
(٩٢) قوغوشلو	٣٠٧٠
(٩٣) احمد الثالث	٤٧٦٣
(٩٤) من خزائن مختلفة	٣٥٠٩

ط — عاطف افندي [١] :

(٩٥) الدفتردار عاطف افندي	٢٦٨١

ي — فاتح [٢] :

(٩٦) فاتح (جامع)	٥١٥٣
(٩٧) حافظ كتب ابرهيم	٤٠٣
(٩٨) ترناوءلي محمد	٢٨٩

ك — كوپريلي [٣] :

(٩٩) كوپريلي محمد باشا	١٦٠٨
(١٠٠) فاضل احمد باشا	٣٨١
(١٠١) محمد عاصم بك	٥٥٦
(١٠٢) جامع سلطان أحمد	١٠٧

ل — مراد ملا [٤] :

(١٠٣) مراد ملا	١٨٤٥
(١٠٤) محمد عارف	٩٤

(١) عنوانها : Sehzadebasi, Vefa Cad. No 44
(٢) عنوانها : Fatih Kirmasti Mb. Cami
(٣) عنوانها : Divanyolu Cad.
(٤) عنوانها : Fatih, çarsamba. Murat molla Cad. 14

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

	عدد المخطوطات
(١٠٥) حميدية	١٥٠٢
(١٠٦) لالا اسماعيل افندي	٧٥٦
(١٠٧) حافظ مراد	١٠٥
(١٠٨) غاليبولبلي طاهر	٣٩
(١٠٩) دار المثنوى مراد	٤٩٣
م — ملت (١) :	
(١١٠) فيض الله أفندي	٢١٩٨
(١١١) رشيد افندي	١١٧٨
(١١٢) ولي الدين جار الله	٢١٢٩
(١١٣) برتو باشا	٦٨٧
(١١٤) علي أميري افندي	٣٣٧١
(١١٥) حكيم أوغلى علي باشا	٩٤٧
ن — نور عثمانية (٢) :	
(١١٦) نور عثمانية (محمود وبيرام باشا)	٤٩٤٨
س — ولي الدين (٣) :	
(١١٧) ولي الدين افندي	٣٢٣١
(١١٨) جودة باشا	٨٤
(١١٩) خالد بك	٦٦
(١٢٠) علي رضا أفندي	٢٥

* * *

(١) عنوانها : Fatih Macar Kardasler No 85

(٢) عنوانها : Nuruosmaniye Camii avlusu

(٣) عنوانها : Bayazid Camii

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول الثاني :

الخزائن الخطية وأماكن وجودها اليوم

(مرتبة على حروف الألفباء)

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
	(ا)	
ابرهيم حافظ كتب	—	فاتح
ابرهيم حقي باشا	—	جامعة استانبول
احسان افندي	—	سليم آغا
احمد الثالث	—	طوبقبو
ادريس باشا	—	بيازيد (عمومية)
ازميرلي اسماعيل حقي	—	سليمانية
ازميرلي مصطفى افندي	—	〃
اسعد افندي	—	〃
اسعد بك (دكتور)	—	〃
اسماعيل آغا	—	〃
اسماعيل حقي بك	—	بيازيد (عمومية)
اسماعيل فني أرطغرل	—	〃 〃
اسميخان سلطان	—	خسرو باشا
أمانت (خزينة)	—	طوبقبو
أمير خوجه كانكش	—	سليم آغا
أياصوفيا	—	أياصوفيا
أيوب (جامع)	—	خسرو باشا
أيوب (سلطان)	—	〃 〃

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhr.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
	(ب)	
پرتو باشا	—	ملّت
پرتو نيال	—	سليمانية
بزمي عالم سلطان	—	بيازيد (عمومية)
بشير آغا	—	خسرو باشا
بشير آغا	—	سليمانية
بغداد كوشكي	—	طوپقپو سراي
بيرام باشا	—	نور عثمانية
	(ت)	
ترخان سلطان	—	سليمانية
ترناوولي (محمد افندي)	—	فاتح
توفيق باشا	—	بيازيد (عمومية)
توفيق بك	—	〃 〃
توفيق يحيى (مدرسة)	—	راغب باشا
	(ث)	
ثابت بك	—	بيازيد (عمومية)
	(ج)	
چلبي عبد الله	—	سليمانية
جودة باشا	—	ولي الدين
چورليلى علي باشا	—	سليمانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
	(ح)	
حافظ أحمد باشا	—	سليمانية
حافظ داود باشا	—	بيازيد (عمومية)
حالت افندي	—	سليمانية
حسام الدين قره چلبي	—	〃
حسن حسني باشا	—	خسرو باشا
حسن فهمي باشا	—	بيازيد (عمومية)
حسين الطرابزوني	—	〃
حسين كاظم بك	—	سليم آغا
حفيد افندي	—	سليمانية
حكيم أوغلى	—	بيازيد (عمومية)
حكيم أوغلى علي باشا	—	ماتت
حميدية	—	مراد ملا
حيدر	—	سليم آغا
	(خ)	
خالد بك	—	ولي الدين
خالص افندي	—	جامعة استانبول
خسرو باشا	—	خسرو باشا
خليل شريف باشا	—	بيازيد (عمومية)
خوجه سيد	—	مراد ملا
	(د)	
دار المثنوي شيخ مراد	—	مراد ملا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
داماد ابراهيم باشا	—	سليمانية
ديوركلي سليم	—	〃
دوكلي بابا	—	〃
(ذ)		
ذهني باشا	—	بيازيد (عمومية)
(ر)		
راغب باشا	—	راغب باشا
رستم باشا	—	سليمانية
رشيد أفندي	—	ملت
رضا باشا	—	جامعة استانبول
روان كوشكي	—	طوبقبو سراي
(ز)		
زهدي بك	—	سليمانية
(س)		
سراز	—	سليمانية
سرويلي	—	〃
سعد الدين مبتقي	—	أياصوفيا
سلطان أحمد (جامع)	—	كوپريلي
سليم آغا (حاج)	—	سليم آغا
سليمان توفيق بك	—	بيازيد (عمومية)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

موقع الخزانة الآن		اسم الخزانة قديماً
سليمانية	—	سليمان مرزي أفندي
〃	—	سليمانية
	(ش)	
سليمانية	—	شاه زاده
〃	—	شهيد علي باشا
مراد ملا	—	شيخ مراد
	(ص)	
جامعة استانبول	—	صاحب ملا
سليمانية	—	صالحة خاتون
	(ط)	
مراد ملا	—	طاهر افندى (غاليبوليلي)
فاتح جامعي	—	طيفور آغا
	(ع)	
بيازيد (عمومية)	—	عارف بك
〃 〃	—	عارف بك المنزوي
سليمانية	—	عاشر افندي (شيخ الاسلام)
عاطف افندي	—	عاطف افندي (الدفتردار)
بيازيد (عمومية)	—	عبد النافع أفندي
سليمانية	—	عثمان آغا
ملت	—	علي اميري افندي
سليمانية	—	علي باشا شهيد

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
علي حيدر أفندي	—	بيازيد (عمومية)
علي رضا افندي	—	ولي الدين
عمر أفندي (رئيس الأطباء)	—	بيازيد (عمومية)
عموجه حسين باشا	—	سليمانية

(ف)

فاتح	—	فاتح (جامع)
فاضل أحمد باشا	—	كوپريلي
فوزي باشا	—	سليمانية
فيض الله أفندي	—	ملت
فيض الله أفندي	—	مراد ملا

(ق)

قاضي زاده محمد	—	سليمانية
قره مصطفى باشا	—	بيازيد (عمومية)
قليج علي باشا	—	سليمانية
قوغوشلر	—	طوبقبوسراي
قيوجي مراد باشا	—	سليمانية

(ك)

كانكش أمير خوجه	—	سليم آغا
كوپريلي محمد باشا	—	كوپريلي
گولنش سلطان	—	سليمانية
گولنش والدة سلطان	—	سليم آغا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
(ل)		
لالا اسماعيل أفندي	—	مراد ملا
لاله لي	—	سليمانية
لطفي بك	—	بيازيد (عمومية)
(م)		
محمد أشرف بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد آغا (جامع)	—	سليمانية
محمد ترناوولي	—	بيازيد (عمومية)
محمد خميس	—	طوبقبو سراي
محمد ذهني بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد عارف أفندي	—	مراد ملا
محمد عاصم بك	—	كوبريلي
محمد قاضي زاده	—	سليمانية
محمد وجيه باشا	—	مراد ملا
محمود أفندي	—	سليمانية
محمود باشا (مدرسة)	—	«
مدينة	—	طوبقبو سراي
مراد حافظ	—	مراد ملا
مراد ملا (قاضيعسكر)	—	« «
مسيح باشا	—	سليمانية
مصطفى افندي (رئيس الكتاب)	—	«
مصلى (مدرسة)	—	راغب باشا
معارف (وزارة)	—	بيازيد (عمومية)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
مهرشاه سلطان	—	خسرو باشا
(ن)		
نافذ باشا	—	سليمانية
نامق بك	—	بايزيد (عمومية)
نظيف أفندي	—	سليمانية
نور بني سلطان	—	سليم آغا
نور عثمانية	—	نور عثمانية
(هـ)		
هاشم باشا	—	سليم آغا
هدائي افندي	—	〃
(و)		
والدة سلطان	—	سليمانية
ولي الدين أفندي	—	ولي الدين
ولي الدين جار الله	—	ملّت
وهبي أفندي بغدادلي	—	سليمانية
(ي)		
يحيى افندي	—	سليمانية
يعقوب آغا	—	سليم آغا
يكي جامع	—	سليمانية
يكي كتبخانة	—	طوبقبوسراي
يكي مدرسة	—	راغب باشا
يوسف آغا	—	سليمانية
يلديز	—	جامعة استانبول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول الثالث :

الفهارس المطبوعة لخزائن استانبول العامة

(مرتبة على حروف الهجاء)

اسم الخزانة [1]	تاريخ تأسيس الخزانة	سنة الطبع
١ — اسعد أفندي	١٢٦٢	—
٢ — أميجخان	٩٠٩	١٣١٠
٣ — أمير خوجه كمانكش	١١٣٥	١٣٠٠
٤ — أياصوفيا	١٢٥٠	١٣٠٤
٥ — أيوب (جامع)	—	١٣١١
٦ — بشير آغا (باب عالي)	١١٥٥	١٣٠٣
٧ — بشير آغا (أيوب)	—	١٣١٠
٨ — بايزيد	—	١٣٠٤
٩ — چلبي عبد الله أفندي	—	١٣١١
١٠ — چورليلي علي باشا	١١٢٠	١٣٠٣
١١ — حالت افندي	١٢٤٤	١٣١٢
١٢ — حكيم أوغلي علي باشا	١١٤٥	١٣١١
١٣ — حميدية	—	١٣٠٠
١٤ — خالد أفندي	—	١٣١٢
١٥ — خسرو باشا	١٢٥٥	—
١٦ — داماد ابرهيم باشا	—	١٣١٢
١٧ — داماد زاده قاضيعسكر مراد	١١٨٩	١٣١١

(١) نشرت هذه الفهارس بعنوان تركي وتلميقات تركية كما قلنا ، واكتفينا هنا بذكر اسم الخزانة قديماً كما على الغلاف مع ترك الاضافات التركية ، تقريباً لأذهان قراء العربية ، والتواريخ المذكورة هي بالهجرية .

اسم الخزانة	تاريخ تأسيس الخزانة	سنة الطبع
١٨ — دوكلي بابا	—	١٣١٠
١٩ — راغب باشا	١١٥٥	١٣١٠
٢٠ — مرويلي	—	١٣١١
٢١ — سليم آغا	١١٩٧	١٣١٠
٢٢ — سليمانية	١٢٨٠	١٣١٠
٢٣ — سليمية	١٢٢١	١٣١١
٢٤ — عاشر أفندي	١١٥٤	١٣٠٦
٢٥ — عاطف أفندي	١١٥٤	١٣١٠
٢٦ — عموجه حسين باشا	١١٦٨	١٣١٠
٢٧ — عمومية	—	—
٢٨ — فاتح	١١٥٥	—
٢٩ — فيض الله افندي وشيخ مراد	—	١٣١٠
٣٠ — قره چلبي زاده حسام الدين	—	١٣٠٠
٣١ — قره مصطفى وموصلي وحكيم أوغلي وقيوجي	—	١٣١٠
٣٢ — قليچ علي باشا	—	١٣١١
٣٣ — كوپريلي زاده محمد باشا	—	—
٣٤ — لالهلي	١٢١٧	١٣١١
٣٥ — محمد آغا وأسعد افندي وبني مدرسة	—	١٣١٠
٣٦ — محمود باشا ورستم باشا	—	١٣١١
٣٧ — مهرشاه سلطان	١٢١٠	١٣١٠
٣٨ — نور عثمانية	١٢١١	—
٣٩ — والدة سلطان	١٢١١	—
٤٠ — ولي الدين	١١٧٥	١٣٠٤
٤١ — يكي جامع	—	—
٤٢ — يحيى أفندي	—	١٣١٠

دمشق : الدكتور سامي الدهان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديَّين (*)

[ص ١١٧ : تناحر الشعراء في شعر العوام بن عقبة]

قال العوّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى [١] :

(١) وخُبِّرتُ ليلى بالعراق مريضةً　　فأقبلتُ من مصرٍ اليها أعودُها

هذا البيت تناحر [٢] الشعراء فيه ،

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع من المجلد ٢٦ والجزء الأول من المجلد ٢٧ من هذه المجلة .

(١) القائل هو العوّام ، انظر المرزباني ٣٠١ واللا لي ٣٧٣ ؛ لا ابو العوّام كما ورد في البصرية ١٨٤ والعيني ٤٥٧/٤ ولعل منشأ هذا الوم ان عقبة والعوام كليهما علقا بامرأة واحدة على التوالي (انظر شرح الحماسة ٦٢٠) وقد خلط القالي ٤٣/١ وغيره بين أبيات من شعر ابن الدمينة وأبيات من شعر الحسين بن مطير وابيات مجهولة كما نبه على ذلك البكري في اللآلي ١٧٨ — ١٧٩ والتنبيه ٣١ وقد روى بعض الأبيات لكثير أيضاً كما نبه عليه صاحب البصرية ، ولعل في اشارة الخالديين الى « تناحر الشعراء » دليلا على ان الأبيات التالية ليست للعوّام وحده ، ومما لا شك فيه ان الأبيات ١ - ٤ و ١٦ للعوام [الحماسة ٦٢٠ واللآلي ٣٧٤ والمرزباني ٣٠١ وشذ ورود الأولين في د المجنون ٢٧] والأبيات ٧ و ١٠ و ١٧ و ١٨ للحسين بن مطير [الحماسة ٥٤٣ و ٥٩٠ والقالي ١٦٥/١ - انظر اللآلي ٤٣٥ - والطبقات لابن المعتز ص ٤٨ والمرتضى ٩٠/٢ والحصري ١١٧/٤ ومجموعة المعاني ١٤٦ والزجاجي ١٢٤] والبيتان ١١ و ١٢ لكثير [غ ٨٦/٧ - ٨٧ و ٣٩/٩ والكامل ٣٨٥ والعقد ١٢١/٤ و د كثير ٧١/١] . اما الأبيات ٥ و ١٣ و ١٤ فقد ثبتت في د ابن الدمينة ٤٣ والبيت ٦ مضافاً الى البيتين ١٣ و ١٤ له عند الخالديين ايضاً فيما بعد ص ١٧٦ .

(٢) ا « سادر » ؛ ب « تناظر » . والتناحر التتابع على الطريق وغيره وهو مجاز ، كذا في التاج .

(٢) فوالله ما أدري اذا أنا جئتها … أأبرئها من دائها أم [1] أزيدها
(٣) ألا ليت شعري هل تغير بعدنا … ملاحة عيني أم يحيى وجيدها
(٤) وهل أخلقت أثوابها بعد جدة … ألا حبذا خلقانها وجديدها
(٥) خليلي قوما بالعمامة واعصبا … على كبد لم يبق الا عميدها [2]
(٦) ولن يلبث الواشون ان يصدعوا العصا … اذا لم يكن صلباً على البري [3] عودها
(٧) لقد كنت جلداً قبل أن توقد النوى … على كبدي ناراً بطيئاً خمودها
(٨) ولو تركت نار الهوى لتضرمت [4] … ولكن شوقاً كل يوم يزيدها

(٩) وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي … اذا قدمت آياتها [5] وعهودها

(١٠) فقد جعلت في حبة القلب والحشا … عهاد الهوى تولى بشوق يزيدها

(١١) وكنت اذا ما جئت ليلى أزورها … أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

(١٢) من الخفرات البيض ود جليسها … اذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها
(١٣) خليلي اني اليوم شاك اليكما … وهل تنفع الشكوى الى من يزيدها
(١٤) حزازات شوق في الفؤاد وعبرة … أظل بأطراف البنان أذودها
(١٥) وتحت مجال الدمع حر [6] بلابل … من الشوق لا يدعى لخطب وليدها [7]
(١٦) نظرت اليها نظرة ما يسرني … بها حمر أنعام البلاد وسودها
(١٧) اذا جئتها وسط النساء منحتها … صدوداً كأن النفس ليس [8] تريدها

(١) م « أو » .
(٢) روي المجنون – د ٣٩ – :
خليلي قوما بالعصابة فاعصبا … على كبد لم يبق الا رميمها
(٣) ب ا« الرأي » .
(٤) ب « لتصرمت » ومذهبان للشعراء انظر اللآلي ٤٣٥ .
(٥) الرواية « أيامها » .
(٦) ا « جر » .
(٧) يقال : هذا امر لا ينادى وليده ، يضرب في الخير والشر .
(٨) كذا والرواية « ليست » وفي البصرية « كأن القلب ليس يريدها » .

(١٨) ولي نظرة بعدَ الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أُصيبَ وحيدُها
(١٩) رفعتُ [١] عن الدنيا المنى غيرَ وجهها فلا أسألُ الدنيا ولا أستزيدها

هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره ، وفيها أشياء لها نظائر نحن نذكر بعضها ، فمن ذلك قوله : «وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي» البيت وقوله : «فقد جعلت في حبة القلب والحشا» البيت وهذا المعنى جيد ، يقول : كنت أرجو أن تذهب صبابتي اذا تطاولت الأيام ، فلما اشتدت وتطاولت زادت صبابتي ، وشبيه بهذا قول الشاعر وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [٢] :

---

(١) م « دفنت » .

(٢) سهو من الخالديين فان البيتين ليسا له بل هما لبعض الأعراب ، انما ضمنهما احمد بن سليمان بن وهب كتاباً كتبه الى ابي احمد عبيد الله بن [عبد الله بن] طاهر ، كذا في الموشح ٣٠٣ وجاء فيه ايضاً ان ابا احمد اجابه جواباً يقول فيه : اما البيتان اللذان ذكرتهما وحثثت بهما على الوفاء فقد استحسنتهما واحتجت الى الاستثبات في قوله « ترد علينا بالعشيّ المراميا » وأي شيء أراد بالمرامي ؟ فان الذي يعرف ان المرامي جمع مرمى والمرمى للمقذف وهو مصدر رمى رمياً كما ترى ، فان كان اراد بالمرامي النبل فهو موجود في كلام العرب وله شاهد . وكان قوله « شبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها » يقتضي ان يكون قال شب بنو ابنها منه أو من غيره فانه لم يتقدّم ذكراً لملكه اياها وانها أم ولده ، وان كانوا يتكلمون على علم المخاطب ويروى ان البلاغة لمحة دالة ، وكان من سمع البيتين مع استحسانه جميعاً اياهما وقف على قوله « بقايا حب ليلى » وأراد منه ألا يكون ذكرَ البقايا وان يكون احتال حتى جعل مكانها أول الافتتاح وان كان لم يكذب في هذا خاصة فرّ بي عند هذا ما لم يتبين لي فيه مطعن وهو قول بعضهم :

وعهدي بنُعم أول العهد انها كعاب فزادتني صِبا وتصابيا
وقد شاب منها نسلنا وتناسلوا وعادت بقايا حبّ نعم بواديا

انتهى قول ابي احمد والبيتان من غير عزو في الراغب ٢/٢٢ وقد ورد للمجنون (د ٨) :

وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد تَرد علينا بالعشيّ للواشيا

امل المراد بـ« للراميا » هو « للواشيا » (التي تمن وتذهب بعيداً في السروح) لا غير وذلك يوافق حياة البدو تماماً .

فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وحرقة ليلى في الفؤاد كما هيا

(١) وعُلِّقتُ ليلى وهي ذات ذُؤابة تردُّ علينا بالعشيِّ المراميا
(٢) فشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها (١) وهذي بقايا حبِّ ليلى كما هيا

وقال آخر مثله :

فشاب بنو ليلى لِصُلبي (٢) وأدركوا وشاب بنوهم (٣) وهْيَ مالكةٌ قلبي

فأما قوله : « وكنت اذا ماجئت ليلى أزورها » البيت فقد أخذه أبو نواس فقال (٤) :

قالت:لقد أبْعَدَ (٥) المسرى،فقلتُ لها: من عالج الشوق لم يستبعد الدّارا

ومثله قول الآخر (٦) :

واذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي : قلت لزهراء الأعرابية : كم بيننا وبين منزلك ؟ فقالت (٧) :

أما على كسلانَ وانٍ فنازحٌ وأما على ذي حاجة فقريبُ

وأما قوله : « من الخفرات البيض » البيت فأحسن ما قيل في معناه ، وقد

---

(١) في الموشح « شبّ » بدل « شاب » في الموضعين واستحسنُ « فشاب بنو ليلى وشبّ بنو ابنها » .
(٢) قوله « لصلبي » يدفع اعتراض ابي احمد على القول السابق .
(٣) ب و م « بنوها » .
(٤) د ٢٨٣ وقال العباس بن الأحنف :
ستقرب الدار شوقاً وهي نازحة من عالج الشوق لم يستبعد الدارا
انظر د ٧٣ والوساطة ٢٨٣ والراغب ١٥/٢ .
(٥) صححت في ب « بعد » من المجرد كما في د .
(٦) مثله للعباس بن الأحنف :
أرى الطريق قريباً حين اسلكه الى الحبيب بعيداً حين أنصرفُ
انظر النويري ٨٤/٣ .
(٧) البيت لأعرابي في الوساطة ٢٣٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تركنا نظائر كثيرة له [في صدر هذا الكتاب] [١] ونحن نذكر ههنا شيئاً مما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قول الشاعر [٢] :

كأنما عسل رجعان منطقها لو ان رجع كلامٍ [٣] يشبه العسلا

آخر [٤] :

(١) وانا ليجري بيننا حين نلتقي حديثٌ له وشيٌ كوشي المطارف

(٢) حديث كوقع القطر في المحل يشتفى به [من] [٥] جوى في داخل القب شاغف

لبشار [٦] :

(١) ولها مضحكٌ كغر [٧] الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود

(٢) نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد

ذو الرمة [٨] :

ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع

آخر [٩] :

---

(١) بدله في ا « وذكرنا في صدر الكتاب شيئاً منها » .

(٢) الحكم بن ريحان من بني عمرو بن كلاب في البيان ٢٧٩/١ ومن غير عزو في العقد ٢٩/٤ .

(٣) هذه هي الرواية وقد ا. يمكن أن تقرأ الكلمة « مَلام » وهو عندي معنى لطيف .

(٤) نسبا الى ابن ابي ربيعة في التشبيهات لابن ابي عون ١١٠ وهما من غير عزو في مجوعة للمعاني ١٧٩ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لذي الرمة » ونسب البيت الأول الى بشار في العقد ٢٩/٤ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لذي الرمة » ونسب البيت الأول الى بشار في العقد ٢٩/٤ .

(٥) سقط من ا و م وبدله في ب « ذو » .

(٦) هما مع ثالث له في المرتضى ٩٨/١ .

(٧) كذا في المرتضى وفي الأصول « كثغر » وسيأتي « كنور » .

(٨) د ٣٥٨ وانظر المرتضى ١٨٧/ والعيون ٨٣/٤ وابن ابي عون ١١٠ .

(٩) هذا البيت ايضاً لذي الرمة ، انظر د ٢١٢ والآلي ٢٥٥ و ٤٠٨ والمرتضى ١٠/١ و ١٠٩/٢ .

لما بَشَرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيقُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [١] :

وحديثٍ بمثله تنزلُ العُصْـمُ رخيمٍ يشوبُ ذلك حِلْمُ

النابغة [٢] :

(١) لو أنها عَرَضَتْ لأشمطَ راهبٍ عَبَدَ الإلهَ صرورةٍ متعبِّدِ

(٢) لَرَنا لبهجتها وحُسنِ حديثها ولخاله رُشداً وان لم يَرْشُدِ

كثيّر عزة [٣] :

(١) وأدنيتني حتى اذا ماسْتَبَيْتَني [٤] بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ

(٢) تباعدتِ عني حينَ لا لي ملجأٌ [٥] وغلّبتِ ماغلّبتِ بين الجوانحِ

آخر [٦] :

(١) ظللنا بيوم عنــد أُمِّ محلّمٍ نشاوى ولم نشرب طلاءً ولا خمرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) د ق ٤/٩٧ .

(٢) العقد الثمين ص ١١ والحصري ١٦/١ وجاء في الشعراء ٧٣ – ٧٤ والوساطة ١٠٣ ان ربيعة بن مقروم اخذ قول النابغة برمته ما عدا القافية « متبتل » بدل « متعبد » .

(٣) انشد القالي ٢٢٨/٢ الشعر لكثير (د ١٠٨/١) وهو له في الحماسة للمرزباني ٣٥٠ والمختار من بشار ٣٤ وخاص الخاص ٨٤ والعمدة ٩٤/٢ والزاهر ٣٣/٢ وقال البكري « هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ، ولا أعلم أحداً رواه ولا وقع له في ديوانه » ت القالي ١١٨ ، انظر أيضاً اللآلي ٨٥٠ والشعر للمجنون في د ٦٧ و غ ٩٠/٢ والحصري ٢٤٩/٢ والشعراء ٣٦٣ والعيون ٧٨/٣ و ١٣٩/٤ والعقد ٤/٤ .

(٤) ا « سبيتني » .

(٥) ا « حيث لالي حيلة » وثبت بالهامش « حين لا لي ملجأ » .

(٦) لسلم [« سالم » خطأ] الخاسر في الابشيهي ٢٣/٢ :

ظللنا نبتنا عند أم محمد بيوم ولم نشرب . . . .

البيت والذي بعده .

(٢) اذا صمتت عنا اذنّا [١] بصمتها   وان نطقت هاجت لألبابنا سكرا [٢]

آخر [٣] :

(١) وترى لها دَلاًّ اذا نطقتْ   تركتْ بناتِ [٤] فؤاده صُعْرا

(٢) كتساقط الرُّطَبِ الجَنيِّ من الـ (م) أفناء   لا نَثراً [*] ولا نَزرا

ولأعرابي :

(١) يا رُبَّ عيش بالشباك رَغْدِ   من تمرِ بَرْنيّ وزُبدِ جَعْدِ

(٢) وفتياتٍ صادقاتِ الوعـد   حديثهنّ مثل طعم الشَّهْدِ

أبو حية النميري [٥] :

(١) حديث [٦] اذ لم نخش عيناً [٧] كأنه   اذا ساقطتْنه الشهدُ بل هو أطيبُ

(٢) لو انك تستشفي به بعد سكرةٍ   من الموتِ كادت سكرةُ الموت تذهبُ

وقال الأخطل [٨] :

وقد تكون بها سلمى تُحدِّثني   تساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري

جران العَود [٩] :

حديثاً لو انّ اللحمَ يولى ببعضه   غريضاً أتى أصحابَه وهو منضجُ

---

(١) كذا في الأصول « اذنّا » ويمكن « اذِنا » فان في الابشيهي «ضجرنا» .

(٢) ا « ذكرا » بدل « سكرا » .

(٣) هو ابو دهبل الجمحي كذا في غ ١١٩/٧ ومجالس ثعلب ٤٧٦/٢ وابن ابي عون ١٠٩ واللسان (صمر) وفي المرتضى ١٥٩/٢ «ابو هذيل ؟ » .

(٤) ا و م « بنان » . ب « بيات » .

(*) في غ « بَثراً » وهو الكثير .

(٥) ما له في الحصري ١٠/١ والمختار من بشار ٣٩ ومعها أبيات أخرى في المرتضى ١٠٤/٢ .

(٦) في المختار من بشار والمرتضى « حديثاً » .

(٧) كذا في ب وفي ا « عيباً » كما في المرتضى .

(٨) د ١١٢ والعيون ٨٢/٤ ومجموعة المعاني ١٨٩ وابن ابي عون ١٠٩ .

(٩) سيجيء الكلام على البيت فيما بعد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبوحية النميري [١] :

اذا هنّ ساقطنَ الحديثَ كأنه سقاط حصى المرجان من كفّ ناظمِ

وشبيه بقول الأعرابي [٢] :

نظرتُ اليها نظرةً ما يسرُّني ، وان كنتُ مسكيناً بهاألف درهمِ [٣]

وهذا الأعرابي على ضعفه ومسكنته كانت نظرته الى من يحبُّ أكثر عنده من الف درهم .

[ص ٣١ : في ذكر الحديث وحسنه]

أما قول جران العود في ذكر الحديث وحسنه :

(١) يُنازعننا لذّاً رخيماً كأنما عوائرُ [٤] من قطرٍ حداهن صيّفُ

(٢) رقيقُ الحواشي لم تسمَّع راهبٌ ببُطنانَ قولاً مثله ظلَّ يرجفُ

فهو حسن نادر الا ان الشعراء في الحديث أكثروا من جيده ومن حسنه [٥]

قول القطامي [٦] :

(١) فهنّ ينبذنَ من قول يُصبنَ به مواقعَ الماء من ذي الغلّة الصادي

(٢) يقتُلننا بحديث ليس يفهمه مَن يتقين ولا مكنونه بادي

---

(١) من كلمة له في المرتضى ٩٨/٢ والحصري ١٠/١ وفي ديوان المعاني للعسكري ٢٣٨/١ « للبحتري ؟ » (في الصناعتين ١٠٦ لأبي حية) وبعده :

رَمين فانفذن القلوبَ ولا ترى دماً مائراً الا جوى في الحيازمِ

(٢) كذا والظاهر ان هناك سقطاً لأن الكلام انتقل الى نظائر البيت ١٦ .

(٣) البيت مع آخر في البيان ٦٢/٤ .

(٤) ب و م « عوابر » والعوائر ما تفرق من القطر .

(٥) ب و م « الشعر في الحديث كثر (كثير) في (ب « ظ فمن ») جيده وحسنه » .

(٦) د ق ١٣/٢ و ١٤ واللآلي ١٨ والشعراء ٤٠٣ والمختار من بشار ٤١ والحصري ١٤/١ .

ومن مليح هذا المعنى قولُ بشار [١] :

وحديث كأنه قطع الرَّو(م) ض زهته الصفراء والحمراء [٢]

ذكر ان حديثها مثل الرياض في ملاحتها وانه يجمع جِدًّا وهزلاً .

وقال بشار أيضاً [٣] :

ولها مضحكٌ كغُرِّ الأقاحي وحديث كالوشي وشي البُرود

وله أيضاً :

(١) دعَتْني حين شبْتُ الى المعاصي محاسنُ زائرٍ كلزَّهرِ غَضِّ

(٢) كأنَّ كلامه يوم التقينا رَمِيٌّ خَدَّهُ [٤] في طولي وعرضي

وله أيضاً [٥] :

(١) حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا

(٢) وكأنَّ رجعَ حديثها قطع الرياض كُسين زهرا

وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري [٦] :

(١) وحديث ألذُّه وهو مما ينعت الناعتون [٧] يوزَنُ وزنا

(٢) منطق صائب وتلحَن أحيـــاناً وأحلى الحديث ما كان لحْنا

ذكر انها تحدِّث بحديث يُفهم ثم تخشى [نمَّ من يحضر] [٨] من الوشاة

(١) د ١١٩/١ والمختار من بشار ٣٣ والعيون ٨١/٤ والحيوان ١٢٢/٣ .

(٢) في م « البيضاء » بدل « الحمراء » .

(٣) المرتضى ٩٨/١ والحصري ١١٧/٣ والرواية « مبسم كثغر الأقاحي » .

(٤) في الأصول « رمىّ » [ا « دمى] يأخذن » بدل « رمي خده » والتصحيح منا والرِّيّ : قطع صغار من السحاب وقيل هي سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع ، كذا في اللسان .

(٥) المختار من بشار ٣٣ والحصري ١٧/١ واللآلي ٢٧٦ وابن ابي عون ١١١ .

(٦) هو مالك بن اسماء ، الشعراء ٤٩٢ ومجالس ثعلب ٩٩/٢ .

(٧) بدله بهامش ب « ينعت الناعتون » .

(٨) ب « تتحصر » بدل ما بين المعقفين والأصل في ا و م « نم » بدل « نم » .

فتلحَن لم يمنى بعرفه وإشارة يقف [1] عليها ، لا يعرفها غيرها وغيره [2] .
قال الله تعالى : ولتعرفنّهم في لَحْن القول ، أي في معنى القول ، ويقال هذا لحن بني فلان أي لغة بني فلان .

ومن أجود ما قيل في هذا الحديث قديماً وحديثاً قولُ ابن الرومي [3] :

(١) وحديثُها السحر الحلال لو انه | لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرّزِ [4]
(٢) إن طال لم يُمْلَلْ وانْ هي أوجزَت | ودّ المحدَّثُ أنها لم توجزِ

(١) ا « تعرفه ... تقف » .

(٢) هذا هو التفسير الصحيح لـ « اللحن » الذي كان موضع اختلاف بين كبار اللغويين . يؤيده ما جاء في المرزباني ٢٦٥ « أراد ما تلحن به اليه اي ما اومأت به وردت عن الافصاح به لئلا يعلمه غيرهما » وكذلك ما جاء في المرتضى ١١/١ ان المراد باللحن « الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه » – وذهب ابن الاعرابي الى ان اللحن (لَحِن يلحَن) هو الاصابة والفطنة (القالى ٥/١) وعلى ذلك يفسر بيت مالك بن اسماء بـ « منطق قاصد للصواب وان لم يصب ، وتصيب وتفطن أحيانا وخير الحديث ما كان اصابة وفطنة » (القالي ٧/١) – وظن الجاحظ على عكس ذلك ان المراد باللحن هو ما يخالف الصواب (البيان ١٤٧/١) وتبعه على هذا الغلط ابن قتيبة (العيون ، المقدمة ن) وابن دريد فيما نقله عن ابن قتيبة (العيون ١٦٢/٢) الا ان ذلك خطأ فقد جاء في القالي ٦/١ ان مذهب ابن دريد في تفسير البيت هو : انها تموص في حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون . وان خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب افهامه وحده وخفي على غيره ، كذلك جاء في الميداني ١٧٤/٢ ان ابن دريد استدرك على الجاحظ « هذه العثرة التي لا تقال » – هذا وقد قام ابن الأنباري بالرد على ابن قتيبة في الأضداد (ليدن ، ص ١٥٦ وما بعد) وقد تنبه الجاحظ الى الخطأ بعدما سار الكتاب في الآفاق (اللآلي ١٧) . راجع أيضاً بحثاً طريفاً عن مادة ل ح ن للمستشرق يوهان فك في كتابه « العربية » ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، (القاهرة ١٩٥١) ص ٢٣٥ – ٢٤٦ .

(٣) في الحصري ٩/١ ومعاني العسكري ٢٤٢/١ والمختار من بشار ٤١ واللآلي ٢٧٥ ونسبت في حم ابن الشجري ١٩٥ الى البحتري .

(٤) م « المتجوز » .

(٣) شرك القلوب ونزهة [(١)] ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

هذا نهاية ماقيل في هذا الباب ، وقد تناول ابن الرومي قوله « ودّ المحدث انها لم توجز » من بعض المتقدمين [(٢)] ، وهو قوله :

من الخفرات البيض ودّ جليسها إذا ما قضت أحدوثة ان تعيدها [(٣)]

ومن مليح ماقيل في الحديث أيضاً قول بعض الأعراب [(٤)] :

(١) وحديثها كالغيث [(٥)] يسمعه راعي سنين تتابعت [(٦)] جدبا

(٢) فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هيا ربّا

وقال آخر [(٧)] :

(١) وانا ليجري بيننا حين نلتقي حديث كتسبيح المريضين [(٨)] مزعج

(١) روى « نهزة » انظر اللآلي .

(٢) مضى البيت .

(٣) ب « لو تعيدها » كما هي الرواية .

(٤) التالي ١/٨٤ واللآلي ٢٧٥ والبيان ١/٢٨٣ والعيون ٤/٨٢ وابن ابي عون ١١١ .

(٥) بدله بهامش ب « كالقطر » كما هي الرواية .

(٦) ب و م « تواصلت وروي ايضاً « تتايعت » .

(٧) البيتان لأمّ الضحاك المحاربية في الوحشيات (نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٧ أدب) ص ١٦١ وهكذا روي عن ثعلب في الحصري ٤/٨١ وابن دريد في التالي ٢/٨٦ ومع البيتين ثالث تذكر فيه الضبابي الذي كانت تحبه ، وهما للشماخ في ابن ابي عون ١١٠ والثاني فقط له في مجموعة المعاني ١٧٩ وقد ذكره الخالديان في موضع آخر منسوباً الى جران العود كما في العيون ٤/٨٢ ويلاحظ ان لجران العود بيتاً يشبهه في بعض اللفظ مع التباين في المعنى :

حديثاً لو ان البقل يولى بمثله زها البقل واخضرّ العضاه المصنّف

انظر د ٢١ والبيان ١/٢٨١ .

(٨) م « كسيح المرتضين » ب « كسيح المريضين » وروي أيضاً « كتنشيج (كنشاج) كتنفس المريضين » .

(۲) حديثٌ لو انَّ انعمَ يولى [1] ببعضه غريضاً أتى أصحابَهُ وهو مُنْضَجُ

هذا ذكر انه اذا خلى بمن يحب يجري بينهما من النشا كي أحرُّ من النار ·

ومثله قول الراجز [2] :

تقول لي وهيَ تخفُّ الهوْدَجا قولاً جميلاً حَسَناً مُمَلَّجا

لو طُبخ اللحم بهِ لأنْضَجا

والقول في الحديث كثير ، ولو استقصينا جميع مافيه لخرج كتابنا عن الغرض الذي قصدنا اليه ·

(القاهرة) الدكتور السيد محمد يوسف

---

(۱) يولَى اي يدنَى وفي ا « مولا » ب « نولا » والرواية « يصلى » ·

(۲) انظر ابن ابي عون ۱۱۰ واللسان « ملج » ·

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

— ٤ —

المفازة :

ومن الطبيعي ألا تشير الروايات الى المراحل بين قراقر وسوى لأن الأرض بينهما مفازة ، لا ماء فيها ولا سكن ، وهي غير مستطرقة . وفي رواية للسمرقندي نقلها ابن عساكر ، اسماء بعض المراحل بين قراقر وسوى . ذكرها موسل في كتابه [1] . وجاءت هذه الرواية مضطربة ترجمتها كما يلي :

« سار خالد من قراقر الى (سوطه) فجعل المشرق عن يمينه ومر بـ (ألذن) ونزل في (قرنين) . ثم في (الحصد) ، ثم في (العبرد) ، ثم في (سوعبل) . قال : ونزل سيف بن عبد الله بن محضر عمن حدثه » . هذا نص رواية عبد الله بن محضر وهي مرتبكة ، لم نعثر على هذه الرواية في أجزاء ابن عساكر المطبوعة . لهذا كتبنا الى الأستاذ شكري فيصل نرجوه نقل الرواية المذكورة من النسخ الخطية المحفوظة في خزائن القاهرة فتفضل وأرسل الينا الرواية المذكورة أخذاً من نسخة خزانة طوبقبو في استانبول ، وهذا نصها :

« فأخذ (خالد) من قراقر الى (شرطه) فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل (قريتين) ثم نزل (الخفار) ، ثم نزل (العوير) ثم نزل سُوا سلمل .. » .

---

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

ولما وصلتنا المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد وجدنا الرواية المذكورة في الصفحة (٤٦٥) كما يلي :

«أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي . . . . عن ظفر بن دهي بمثله . وقال فأخذ من قراقر الى سوكه فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل قريبتين ثم نزل الحفار ثم نزل العرير ثم نزل سوى بليل . قال : ونا سيف عن عبد الله بن مُحَضّر بن ثعلبة عمن حدثه» .

فالفرق بين الرواية التي نقلها موسل والرواية الآنفة الذكر كما يلي : أما (شرطه او (سوكه) فينبغي أن تكون (سوى) حرفها النساخ خطأ . والمنزل الأول في رواية موسل (ألـذن) ولم يرد ذكر هذا المنزل في الرواية المذكورة في المجلدة الأولى . والمنزل الثاني في رواية موسل (فرقين) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى (قريبتين) . والمنزل الثالث في رواية موسل (حصد) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى (الحفار) . والمنزل الرابع في رواية موسل (العيرد) وفي رواية المجلدة الأولى (العرير) . انتقد موسل تلك الرواية وأشار الى أن فيها تقديماً وتأخيراً ، والأعلام الواردة فيها أماكن مرَّ بها خالد قبلاً وقال ان فرقين ينبغي أن تكون محرفة من قرقيسيا والحصد محرفة من الحصيد ، أما سوعبل وفي رواية المجلدة الأولى (سوى بليل) فهي مزيج آخر جملة بأول جملة ، لأن الخبر أتى كما يلي : ثم سوعبل قال ونزل ، لهذا ينبغي أن يكون الخبر قال ونزل بسوى ، فتصبح الرواية كما يلي :

«قال عبد الله بن محضر عمن حدثه أخذ خالد من قراقر الى سوى ، فجعل المشرق عن يمينه ومر بألـذن ونزل في فرقين ، ثم في الحصيد ، قال ونزل بسوى» .

ولعل (فرقين) هي القريبتين كما جاء في رواية المجلدة الأولى ، ولعل (الحفار) تحريف النساخ لكلمة الحصيد . أما العرير فلم نتثبت من محلها ولعل النساخ حرّفوها .

وقد ذكرت الروايات ان خالداً اجتاز المفازة في خمس ليال وذكر اليعقوبي في ثمانية أيام ؛ والقصد من خمس ليال ست مراحل لا كما قال بعض المؤرخين بأنها خمس مراحل . قضى خالد في المفازة خمس ليال ووصل في اليوم السادس الى سوى . أما الثمانية أيام التي ذكرها اليعقوبي فستة أيام منها في قطع المفازة واليومان الأخيران بين سوى ومرج راهط ، والمسافة بينهما مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً أي مرحلتان . وبما أن المسافة بين قراقر وسوى نحو من ثلثمائة كيلومتر، فانها تقطع في ستة أيام خفاف .

ذكر الشيخ عبد العزيز العقيلي الذي اجتاز مفازة قراقر وسوى مرات ان المسافر يقطعها في ست مراحل خفاف . المنزل الأول (أذنه) ، ورد اسمها في خريطة موسل (ام اذن) الى شمالي شرقي قراقر على بعد ثلاثين كيلومتراً ولعلها (ألذن) الذي ورد ذكرها في رواية السمرقندي الآنفة الذكر . وصفها الشيخ عبد العزيز انها حجارة سوداء تؤلف تلاً في سهل ، أي الحمم التي أشار اليها موسل . والمنزل الثاني في أرض دُفرة بين تلي (أبي راسين) و (الأقرن) وبين (كثب الشامة) وهي كثبان رمال وقد جاء اسم (كثب الشامة) هذه في خريطة موسل ؛ والمسافة بينها وبين أم اذن ثلاثون كيلومتراً والأرض الدفرة التي أشار اليها عبد العزيز هي الأرض البركانية ، ذكرها موسل قائلاً : « يجب على المسافر أن يتوجه من قراقر في أول مرحلة الى الشمالي الغربي ويقطع أرضاً بركانية طولها خمسون كيلومتراً لهذا ينبغي أن تكون (كثب الشامة) المنزل الأول . والمنزل الثالث كما ذكره هو (تل الهبر) ووصفه بأنه تل أسود على الحدود الأردنية — السعودية من غربه . وقد جاء اسمه في خريطة موسل والمسافة بينه وبين كثب الشامة خمسة وعشرون كيلومتراً . والمنزل الرابع حسبما ذكره العقيلي قاع (ابو الحصين) في غربه الحرة وفي شرقه (وديان الرويشدات) . سجل موسل في خريطته على غربي الطريق شعيب

(دُوَيْشد ابو حفنة) وهو على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً وفي جوارها مقور مياه تسمى (الحويمات) تكون في أرض بيضاء . والحويمات هذه واقعة الى جنوبي (شعيب حفنة) على عشرين كيلومتراً . والمنزل الخامس (الحدالي) وهي عبارة عن قارتين صحراويين ويرى جبل الغراب في الغرب من بعيد ، وجاء اسمه في خريطة موسل (غراب الحدالي) وهو جبل أسود الى غربي الطريق بعد عطفته الى الشمال الغربي . أما المنزل السادس فهو سبع أبيار . وطولها من الحدالي سبعون كيلومتراً . وفي خريطة موسل محل على الطريق في المكان الذي ينعطف فيه الطريق الى الشمال الشرقي نحو سبع أبيار يسمى (الجويف) ومنه يتشعب طريق الى (خان عنيب) الواقع على طريق (تدمر — دمشق) .

متى سافر خالد من العراق ؟

ثبتنا الطريق التي سار فيها خالد برجاله ، نعود فنبحث عن الوقت الذي سافر فيه :

ذكرنا فيما سلف أن خالداً تسلم أمر أبي بكر في أواخر المحرم سنة ثلاث عشرة وأشرنا الى أن أوثق الروايات تؤكد بأنه أغار على الغسانيين في مرج راهط في عيد فصحهم أي في ٢٤ ـ نيسان ـ سنة ٦٣٤ . ولا بد أن خالداً قضى بضعة أيام في انتقاء رجاله وارساله النساء والضعفاء الى المدينة والاستعداد للسفر ، لهذا يصادف مغادرته لحيرة في أوائل شهر صفر أي في منتصف شهر آذار .

فقد روى المدائني انه غادر العراق في ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ، ويصادف يوم ٢٤ ـ نيسان ـ ٦٣٤ = ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣ . وهذا التاريخ ثبت . اذن ما معنى ربيع الثاني الذي ذكره المدائني وأيده البلاذري ؟ لأن تاريخ وقوع معركة أجنادين الذي أيده أكثر ثقاة الرواة والاخباريين يعارض التاريخ الذي ذكره المدائني . وقعت معركة اجنادين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .

والطريق الذي سلكه خالد لا يمكن أن يقطعه في أقل من خمسة وعشرين يوماً .
وقد قضى عدة أيام للوصول الى بصرى بعد ضربة الغسانيين في مرج راهط
وفتحه مدينة بصرى ، ثم توجه الى الجنوب للانضمام الى جند عمرو بن العاص .
والمسافة من بصرى الى الغمر الذى قيل ان عمرو بن العاص كان يرابط فيه
لا تقل عن ثلثمائة وخمسين كيلومتراً ، ومن الغمر الى أجنادين نحو من مائة كيلومتر .
ولا شك أنه صادف في طريقه عقبات أخرته عن المسير ، والمعقول أن لا يتم
كل ذلك في شهر واحد .. ومن أجل ذلك ليس لنا الا أن نؤيد ما أورده
موسل من أن الربيع الآخر الذي أشار اليه المدائني هو موسم الربيع لا الشهر
القمري . وذكر موسل ان كيتاني أخطأ حين اعتبر تاريخ المدائني أساساً للبحث ،
ويذهب موسل الى أن موسم الربيع عند البدو ينقسم الى شطرين ، والمدائني أراد
بربيعه الثاني أن يشير الى الشطر الثاني من موسم الربيع ، أي أن سفر خالد
من الحيرة حتى وصوله مرج راهط وقع على ما يظهر في الشطر الأول وقسم من
الشطر الثاني لموسم الربيع . وما برح البدو يسمون الخريف بصفر الأصفار .
وذكر موسل أنه يمتد ثلاثة أشهر أي ايلول وتشرين الأول وتشرين الثاني .
ولعل شهر صفر الذي ذكره سيف بن عمر في رواياته عن فتوح خالد في العراق
هو صفر الأصفار لأنه حشد في شهر صفر هذا كثيراً من الحوادث التي لا يمكن
أن تجري في شهر واحد .

اذن فلنا أن نعتبر سفر خالد من الشام قد جرى في النصف الأخير من شهر
آذار سنة ٦٣٤ وانه قضى في الطريق أكثر من شهر ، لأنه لم يجهد خيله
ورجاله في الطريق صيانة لهم واستعداداً للقتال في الشام ، فرتب مسيره بأن قطع
في اليوم خمسين كيلومتراً ، وقضى عشرين يوماً بين الحيرة ودومة الجندل
وخمسة أيام بين دومة الجندل وقراقر ، وستة أيام بين قراقر وسوى ، ويومين
بين سوى ومرج راهط ، يضاف الى ذلك يوم أو يومان قضاهما في سوى

وأطرافه ، وبذلك يكون قد قضى نحواً من خمسة وثلاثين يوماً في سفره ، ترك الحيرة حوالي ٢٠ آذار ووصل مرج راهط في ٢٤ نيسان .

خالد في سوى :

لم يعثر خالد على الماء في سوى بسهولة . والروايات جميعها تشير الى أن موقف خالد في سوى كان حرجاً . لقد نفد الماء بنحر الجزور ، وليس هناك ما يدل على أن الماء موجود في سوى . ومما زاد في حراجة الموقف رمد الدليل رافع الطائي وهو على ما ذكرته الرواية كان ورد ماء سوى قبل ثلاثين سنة وهو غلام وبعد أن ضرب الناس يمنة ويسرة عملاً باشارة رافع عثروا على جذع العوسجة . فاحتفروا الأرض بجوارها ووجدوا الماء وارتووا . قال موسل : « ان آبار سبع أبيار (وهي سوى) في منتهى شعيب ضحل . تحتفظ بالماء ثلاث أو أربع سنوات عقبى أمطار غزيرة في الشتاء ، وأرباب الرحلات لا يعتمدون عليها الا فيما ندر ، ولا يرون بها الا قليلاً ويتركونها وتكاد الرمال تطمرها »[١] . ثم أضاف قائلاً ان رافعاً من قبيلة طي وبلاد طي واقعة الى جنوبي سوى على مئات من الكيلومترات ولعلهم كانوا وما يزالون يطلبون سوى في غزواتهم ، لذلك ان خبر جذع العوسجة خبر صحيح . ومن الروايات ما أشارت الى ان خالداً باغت جمعاً من بهراء في سوى ، كانوا يشربون ومغنيهم ينشد الابيات التالية :

ألا علاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب ولا ندري

فقتلهم وسبى . وفي روايات أخرى أن الحادث المذكور وقع في المصيخ قبل سفر خالد من العراق . وفي رواية الهيثم بن عدي أن الحادثة وقعت في البشر . ومن الروايات ما تجعل الوقعة في مصيخ بهراء في أطراف سوى . والبيت يدل على ان الحادثة وقعت في المصيخ شمالي عين التمر ، قبل سفر خالد لأن المغني

(١) البادية العربية : (ص ٥٥٨) .

كان يجهل قدوم جيش خالد من قراقر ، وقد احتاط خالد في اجتيازه المفازة لبياغت الشام ؛ فضلاً عن أنه يصعب تصديق رواية وجود جمع بهراء في سوى . وقد اتضح أن المسلمين حفروا الأرض واستخرجوا الماء منها . ولا يستبعد ان خالداً بعد وصوله الى سوى وأثناء اقامته فيها أرسل رجالاً من أصحابه ليغيروا على الأطراف ويحصلوا على الطعام . فأغار هؤلاء على جمع من بهراء في أطراف سوى .

واذا كان خالد عازماً على مباغتة الروم في دخوله ارض الشام وجب عليه ألا يطيل المقام في سوى ولا يضيع وقته في شن الغارات ، كما أشارت اليه بعض الروايات ، لأن في ذلك مضيعة للوقت ، واطلاع العدو على محله . لهذا من المحتمل جداً أنه قضى مدة قصيرة في سوى للراحة ، ولم يكشف عن محله ، فتوجه الى الشام من الطريق الأقصر وهو الذي يمر بضمير وينتهي بعذراء . ولا سبيل له أن ينفذ الى الشام من محل آخر . وسبب ذلك ان سلسلة رواق تسد الطريق من الشمال وحرة تلول الاعطيات من الجنوب وبحيرة عتبة وبحيرة الهيجانة من الغرب والأرض بين البحيرتين المذكورتين في الربيع كثيرة المستنقعات يصعب اجتيازها . ويبدو من ذلك أنه ليس لخالد الا أن يتوجه من سوى رأساً الى عذراء ويباغت من فيها والمسافة بينها مائة وعشرون كيلومتراً ، أي مرحلتان . ويظهر من الروايات أن المياه كانت متوفرة في الطريق المذكور . وقد ذكر ابن اسحق في روايته أن الطريق اشتقامت بخالد بعد سوى وتواصلت المياه حتى مرج راهط .

وجاء في رواية لسيف بن عمر ما يلي :

« ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها وغارته على مصيخ بهراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك صمد اليهم . فخرج من سوى بعدما رجع اليها بسبي بهراء فنزل الرمانتين علمين على الطريق ، ثم نزل بالكثب حتى صار

الى دمشق ، ثم مرج الصفر ، فالتقى عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ، ثم خرج منه حتى ينزل بقناة بصرى ، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق . وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة فنازلهم بها في تسعة آلاف ..»[1] .

ورواية سيف هذه هي الرواية الوحيدة التي تشرح قصة سير خالد من سوى الى مرج راهط ، وتشير الى ان الغسانيين استخبروا وصول خالد الى سوى . أما ما جاء فيها من اغارة خالد على مضيخ بهراء - والصحيح (المصيخ) - فخبر يشير الى اغارة خالد على بني تغلب في المصيخ حينما قدم اليها من عين التمر وذلك قبل سيره الى الفراض ، أي قبل استلامه كتاب ابي بكر . والمصيخ هذا كما بينا يقع الى جنوبي وادي حوران وقد ثبته موسل في عين الأرنب . لهذا لا يعقل أن خالداً بعد وصوله الى سوى وقد وصل حدود الشام يشرق ويجتاز البادية مرةً أخرى ويذهب الى المصيخ للاغارة على أهله . والمسافة بين سوى والمصيخ نحو من أربعمائة وخمسين كيلومتراً والماء مفقود في الطريق وقد يقضي في الذهاب والاياب أكثر من عشرة أيام .. الا اذا كان هناك مصيخ آخر في جوار سوى ، يرجع لبهراء . وقد يكون المصيخ وصفاً لبعض أشكال الأرض كالكثيب والقلت والثنى أو الثنية وغير ذلك[2] .

وقد أشرنا قبلاً أن مبدأ المباغتة يتطلب من خالد ألاّ يقدم على حركات عسكرية بعد وصوله سوى ، وليس من شك في أنه قضى بعض الوقت للاستراحة بعد السفر الشاق في المفازة ولا يستبعد أن بعض رجاله قاموا بغزوات قصيرة المدى في الأطراف لاغتنام بعض المواشي ، لأن الموسم في أطراف الشام موسم المرعى .

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٤) .

(٢) وجاء في القاموس (الصخ) الضرب بالحديد على الحديد . وصوت الحجر اذا قُرع وقد يكون للمصيخ الأرض الحجرية التي تقرع .

http://ArchiveBeta.Sakhrit.com ARCHIVE

ليس في الروايات ما يشير الى أعمال خالد بين سوى ومرج راهط . ورواية سيف على طولها لم تشر الى عمل له سوى نزوله بالرمانتين والكثيب . والرمانتان اشارة الى تلين منفردين ، ارتفعا في ارض سهلة وأصبحا علماً لمكان وقد ذكرهما الشيخ عبد العزيز العقيلي . والكثب والكثيب تل من الرمل . ولعل خالداً كان يعلم أن الطريق بين تدمر ودمشق غاصة بالحصون ومعاقل الروم ، لهذا لم يخاطر في مهاجمتها ، ولعله سعى كثيراً لأن يسلك طريقاً بعيدة عنها ليخفي حركته وبالحقيقة ان المنفذ الشمالي لبلاد الشام يسهل كثيراً سده بوجه القوات القادمة من البادية ، وهو محصور بين سلسلة الرواق والحرة الواقعة الى شرقي دمشق وبحيرتي العتيبة والهيجانة وما يتخللها من المناقع ومن أجل هذا يذهب الظن الى أن خالداً ، في زحفه من سوى الى مرج راهط اتخذ كل الحيطة لاخفاء مسيره محاولاً مباغتة الغسانيين ، واذا صحت رواية سيف فانه علم باجتماع الغسانيين في مرج راهط ، لأنه كان قد اعتزم الوصول الى المسلمين من دون ان يحبسه الروم عن نجدتهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الخريطة التي أرفقها (بوادبرارد) بكتابه (المواقع الرومانية في بادية الشام) حصون ومعاقل على طريق (تدمر — دمشق) من سبع ايار الى ضمير وذكر المؤلف[1] أنه أقيم خط أمامي ليستر طريق الخانات (الطريق الشمالي التي تمر بسفح سلسلة الرواق بين دمشق وتدمر) جنوبي جبل الرواق على ثلاثين كيلومتراً ، ليسد الجادة الممتدة من الحماد بالاتجاه الشمالي الغربي . ويتألف هذا الخط الأمامي من الطريق المستحكمة لجادة ديوقلتيان في قاطعيه جبل سَيْس — سبع أيار — تدمر . وفي هذا الخط حصن (تل الساعي) الواقع الى جنوبي غربي سبع أيار على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً . ويمكن الوصول الى سبع أيار مباشرة من ضمير وخان الشامات من دون المرور بسَيْس . ويتبين مما كتبه المؤلف

(١) المواقع الرومانية في بادية الشام (ص ٤٢) .

أن جبل سَيْس يقع على الطريق الروماني الأقصر بين بصرى وتدمر وقد استعمله أرباب الرحلات من التجار يوم كانت بصرى وتدمر مدينتين تجاريتين خطيرتين · وفي نقطة جبل سيس بئر وحصن لحراسة البئر · وبين هذا الموقع وموقع سبع أبيار مواقع أخرى فيها تل صناعي وبرج روماني وبركة من العهد الروماني واسم الموقع تل (سَدْشَيه) ، ويمر الطريق بعدها بتل التساعي الى سبع أبيار ومنه الى حصن العليانية وحصن الملكية ، ثم يضرب شمالاً الى تدمر ·

أما الطريق الأقصر من سبع أبيار الى ضمير فيمر بسفح جبل رواق الجنوبي وفيه أيضاً معاقل وحصون كحصن سَبْنجل وحصن خان الشامات وحصن ضمير · وفي أطراف ضمير أقيم سور لحماية أرض المرعى · لقد درس المؤلف هذه المواقع وثبت صورها ورسومها في ملحق كتابه وأثبتها في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام ·

ذكر موسل في كتابه « البادية العربية » أن في شرقي مرج راهط (في جوار عذراء) معسكر الرومانيين المستحكم ، الواسع (ضمير العتيقة) ·· لم تشر الروايات العربية اليها ولعلها كانت وقتئذ خالية أو لعل حاميتها انضمت الى جيش الروم للدفاع عن الباب الأول في بصرى أو فلسطين · وهذا محتمل جداً لأن الفرس كانوا دحروا في حرب هرقل ·· فلم يبق من خطر يهدد بلاد الشام بالهجوم عليها من الشمال الشرقي ، ويلاحظ من جهة أخرى فقدان جنود الروم في الباب الثاني ، وفي مرج راهط اجتمع مرتزقة الغسانيين فقط ·

ويتراءى لنا أن خالداً في زحفه من سوى الى مرج راهط تعمد بألا يظهر أمام ضمير العتيقة وسار بعيداً عنها · ويتضح من كل ما ذكرناه انه لا بد لخالد أن يسير بعيداً عن المواقع الرومانية المذكورة خشية الاصطدام بها ·

واذا بلغ خالد خبر اجتماع الغسانيين في مرج راهط قبل مسيره من سوى أو في طريقه اليها كان يقتضي أن يتغلب عليهم ليستطيع النفوذ الى الشام لأنه

لا يوجد أمامه طريق آخر دون قتالهم . ذكر ياقوت مرج راهط وقال انه موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء اذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك وقال عن مرجه هو أشهر المروج في الشعر . أما عذراء فموقعها ثابت في الخريطة وهي واقعة على طريق دمشق ـ ضمير ـ شمالي شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً ، غربي مفترق الطريق الممتد الى ضمير وخان ابي الشامات وطريق نبك ـ حمص .

ويبدو مما كتبه ابن عساكر ان مرج راهط هو مرج عذراء ، ويتبين مما كتبه ياقوت انه في شرقي عذراء . والمسافر من دمشق الى بغداد بالسيارات يرى هذا المرج الواسع على يمينه بعد عذراء . وكانت المروج والمراعي في شرقي دمشق خاصة بالغساسنة وفيها منازلهم وقراهم .

ولعل الروم حين حشدوا الجيوش لمقاتلة المسلمين في فلسطين لم يهتموا كثيراً بالناحية الشمالية والناحية الشرقية لدمشق . لأن الطريق التي تربط العراق بالشام والتي تمر بوادي الفرات وتجتاز بادية تدمر تلقى في وجهها معاقل وحصوناً ومرابط كما قلنا .. لهذا لم يتوقعوا هجوماً من هذه الناحية . واذا سارت قوات المسلمين عليها تصل أخبارهم الى حكام الروم في الشام فيتخذوا الحيطة لسد الطريق بوجه المسلمين . أما طريق البادية من الشرق فلا يمكن أن تسلكها قوة ذات شأن . ويتبين من رواية سيف بن عمر أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر بينما الروايات الأخرى جميعها تشير الى قتال خالد للغسانيين في مرج راهط . أما موقع مرج الصفر فلم تثبت منه بالضبط ، ذكره ياقوت وقال انه بين دمشق والجولان صحراء كبير . ويلوح لنا انه واقع الى جنوبي دمشق الى الغرب أو الى الشرق منها . لقد انتصر فيه العرب على الروم بعد معركة أجنادين في مسيرهم نحو دمشق وهو بلا شك مرعى للغسانيين ، وعلى ما يظهر انه مرعى كبير . ويبدو أن الغساسنة كانوا نازلين فيه مع عيالاتهم للرعي به

ولعل بعضهم كان في مرج راهط يرعى ماشيته ويراقب طريق الصحراء . فلما بلغهم خروج خالد الى سوى أخبروا الروم بذلك وطلب هؤلاء اليهم أن يمنعوا القادمين من الدخول الى أرض الشام . فأسرع من كان في مرج الصفر الى مرج راهط واجتمعوا فيه لحماية مواشيهم وصد المسلمين . يستنتج ذلك من انسحابهم الى مرج الصفر بعد هزيمتهم في مرج راهط .

وبعد فليس في الأخبار ما يشير الى وقت اغارة خالد على الغسانيين والى صورتها . وبما ان أسلوب خالد في أكثر حروبه المباغتة ، يتراءى لنا أنه باغت الغسانيين في مرعاهم وقت الصبح والاشارة الى ثنية العقاب في رواية الواقدي وروايات أخرى تخالف ما ذكرنا . ويؤخذ من رواية الواقدي أن خالداً وصل الى ثنية العقاب بعد اغارته على بني غسان . وهذا لا يتأتى لأن غوطة دمشق تبدأ بعد عذراء وليس فيها ثنية ، والثنية في اللغة طريق العقبة . والثنية التي صار اليها خالد وركز فيها رايته ينبغي أن تكون في نهاية الجبل الذي يمتد من الشرق الى الغرب في شمال ضمير ويطل منتهى الجبل المذكور على مرج عذراء وغوطة دمشق . وتمر بقربه الطريق بين دمشق وحمص ، بعد أن يتسلق الجبل ويتضح مما أورده ابن الأثير ان خالداً وصل ثنية العقاب بعد مصالحته لبني مشجعة في قصم ، ثم سار الى مرج راهط . ويستدل من ذلك انه بطريقه من حوارين الى دمشق مر بقصم . والطريق من النبك الى دمشق تمر بأراض جبلية وقبل أن تصل الى السهل الذي فيه مرج راهط تتسلق الجبل وتهبط منه الى السهل ، والثنية هذه في هذا الجبل كما بينا . واذا كان خالد قدم من سوى الى مرج راهط لمباغتة الغسانيين لماذا يعرج الى الجبال ويرفع رايته فوق الثنية ويكشف عن محله ؟ هل علم أنه لا يقدر على مباغتة الغسانيين اذا قدم من البادية ، لأن عيون عدوه كانت ترقبه ، لهذا عرج بعد ضمير الى الجبل وأغار على الغسانيين من الشمال بعد أن أخفى حركته في الأرض المتموجة ؟ أم أن حادثة الثنية وقعت بعد فتح دمشق ؟

ويظهر من رواية سيف أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر وكان عليهم الحارث بن الأيهم ولم يشر سيف في روايته الى قتال وقع في مرج راهط على حين أجمع الرواة على وقوع هذا القتال . ويتضح من هذا أن راويه احتفظ بذكريات قتال مرج الصفر الرئيسي وأهمل قتال مرج راهط الثانوي . واذا كانت عيالات الغسانيين وماشيتهم في مرج الصفر ، كان ينبغي لهم بعد هزيمتهم في مرج راهط أن يسرعوا الى مرج الصفر للدفاع عن عيالاتهم وماشيتهم . وفي هذه الحالة لا بد ان خالداً لم يمهلهم ، بل طاردهم الى مرج الصفر ـ والمسافة بينهما على ما يبدو قصيرة ـ فهزمهم شر هزيمة ثم توجه الى بصرى . ليس في الروايات ما يشير الى عمل قام به خالد في طريقه الى بصرى . ويبدو من ذلك أنه بعد أن ظهر في أطراف عاد فأضاع أثره وظهر من جديد أمام بصرى .

أما الأخبار التي تروي اغارة خالد على قرى الغوطة ونزوله على أحد ابواب دمشق واعطائه عهداً لأسقفها وغير ذلك فيصعب تصديقها . ومع هذا فان ما للمدينة دمشق من شهرة ومكانة قد بعثت أطماع خالد لجذبته الى المدينة .. لهذا جاز لنا أن نزعم ان رجاله أغاروا في طريقهم على بعض قرى الغوطة وان خالداً مرّ بباب دمشق مر الخاطف .

الخلاصة :

والذي يتلخص من بحثنا هذا ان خالداً بعد استلامه أمر ابي بكر بالشخوص الى الشام ، قرّر المسير اليها بطريق دومة الجندل ، فترك الحيرة بعد منتصف شهر آذار سنة ٦٣٤ فبلغ دومة الجندل وبدلاً من أن يسير على طريق وادي السر تقدم من الشمال محاذياً للوادي حتى وصل قراقر ومنها اعتزم اجتياز المفازة بين قراقر وسوى ، ثم تقدم رأساً الى مرج راهط فهزم الغسانيين في عيد فصحهم في ٢٤ نيسان سنة ٦٣٤ ثم تقدم مسرعاً الى بصرى .

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلي ما كتبه الجنرال جلوب قائد الجيش العربي في الاردن في كتابه « قصة الكتيبة العربية » :

« وبينما كانت الجيوش العربية تقاتل الروم في السهول الفارسية (العراق) كان خالد بن الوليد يغزو مسالح الامبراطورية الفارسية . ولما ورد اليه أمر الخليفة يلح عليه بالكف عن حرب فارس ويطلب اليه الاسراع لنجدة جيش المسلمين امام دمشق ، وكان خالد قد فتح مدينتين من مدن العراق . وكان خالد على بعد خمسمائة ميل عن زملائه في الشام ، تفرقهم بادية الشام التي لم يقطعها جيش في الحرب قبلاً ، ماعدا مرة واحدة (يقصد بها حركة الكتيبة العربية من شرقي الأردن الى العراق في حوادث سنة ١٩٤١) ترك خالد العراق حالاً وسار عبر الصحراء الى واحة دومة الجندل (تدعى الآن الجوف) ومنها فتح وادي سرحان بوجهه الطريق الى الشام ، والوادي بطن طويل حافل بالآبار طالما قطعته القوافل . وكانت الحصون الرومية تسيطر على منتهاه الشمالي . وبعد ان استقى خالد الماء من قراقر دلف الى الشرق وتوغل في البادية بعيداً عن أنظار حاميات الروم في الشام . وبينما كان جيش الروم يقاتل العرب في السهول الواقعة الى جنوبي دمشق ظهر خالد من البادية بغتة وراء ظهرهم . وكانت هذه الحركة السريعة فوق طاقة جنود الروم المجهزين بالسلاح الثقيل . لهذا بعث الروم مناصريهم العرب ، الأمراء الغسانيين لطرد خالد من خطوط مواصلاتهم ، ولكن بني غسان منوا بهزيمة منكرة شرقي دمشق على بعد خمسين ميلاً .

دلف خالد البادية وأضاع أثره للمرة الثانية وبعد أن التف وراء جبل الدروز ، انضم الى جيش المسلمين في السهول الممتدة جنوبي دمشق [1] » .

بغداد : طه الهاشمي

---

(١) The Story of Arab Legion (ص ٢٥) وما بعدها .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ؛ مع نقد وتعليق

- ٥ -

٧ - ابن سراقة :

ويأتي ابن سراقة (٤١٠) فيؤلف كتاباً في الإعجاز ليس له أثر الآن وانما ذكره حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بين كتب الاعجاز وقال إنه في الاعجاز من حيث الأعداد ذكر فيه من واحد الى ألوف ولا ندري ما يقصد بهذه العبارة المقتضبة « من حيث الأعداد من واحد الى ألوف » وقد تساءل الرافعي أيضاً عن المقصود منها وحار في تعليلها .

وذكر السيوطي رأي ابن سراقة في الاعجاز فقال (الاتقان للسيوطي ص ١٩٨) : وقال ابن سراقة : « اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره » ثم يعدد أقوال الناس المختلفة في الاعجاز وأكثرها يتعلق بالبلاغة والفصاحة والنظم بصورة عامة ومعاني القرآن والغيب .

ونحن نرى من عبارة ابن سراقة : « فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب » أو نستطيع أن نستنتج أنه كان يرى أن القرآن معجز بكل مافيه فكل وجهات النظر والنواحي المختلفة التي قيلت في إعجازه صحيحة وهو لا يمحص الآراء المختلفة فيأخذ بعضها وينأى عن بعض وفيها المتناقض كالقول بالصرفة والقول بالاعجاز البياني فكلها عنده حكمة وصواب أو - كما يقولون - « خير وبركة » .

٨ً – ابن حزم الأندلسي :

ويتكلم ابن حزم الأندلسي المتكلم في كتابه « الفصل في الملل والنحل » عن الإعجاز فيذكر أقوالاً عدة من مسائله ويرد عليها ثم يذكر رأيه فيها وفي وجه الإعجاز ويتلخص ما أورده في أمور :

١ً – ذكر رأي الأشعري في أن المعجز هو القديم الذي لم يزل مع الله تعالى ورد رأيه لأن الإعجاز يبطل حينئذ فلا يمكن تحدي الناس بشيء لم يروه ويرجح قول الجمهور في أن المعجز هو الذي بأيدينا .

٢ً – يتعرض لزمن الإعجاز هل يقف عند حياة الرسول ، كما يقول بعض أهل الكلام الذين يرون أنه لو عورض في زمنهم لما بطلت المعجزة لأنها إنما قامت الحجة بها زمن النبي بعجز العرب عن معارضته ، أو إنه باق الى يوم القيامة كما يقول جمهور أهل الاسلام ويفهم من كلامه أنه يرجح رأي الجمهور .

٣ً – يذكر المعجز من القرآن فيقول إن قوماً يرون أن المعجز منه نظمه وقوماً يرون أنه إخباره بالغيوب وإن سائر أهل الاسلام قالوا كلا الأمرين معجز نظمه وإخباره بالغيوب .

٤ً – يذكر قولين في وجوه إعجازه وهما القول بأنه في أعلى مراتب البلاغة والقول بالصرفة وهو يرفض الرأي الأول لأنه لو كان في أعلى درجات البلاغة لكان لا حجة فيه لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود ، وبأن الله لا يُسأل عما يفعل ولا يقال له لِمَ عجّزت بهذا النظم دون غيره ، ولأنه يلزم من ذلك أن ينزل الله القرآن في جميع اللغات ليكون معجزاً للأعاجم إعجازه للعرب لأن العجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بأخبار العرب ويبدو من خلال تناوله الموضوع أنه يؤيد الثاني الى جانب قوله بأن القرآن معجز لأنه قرآن فهو ينقد من يستشهدون ببعض الآيات دون

بعض على إعجاز القرآن كآية « ولكم في القصاص حياة » فيقول إنهم لا حجة لهم فيها لأنها إما أن تكون وحدها معجزة ويكون باقي القرآن غير معجز وإما أن يكون كله معجزاً فيكون الاستشهاد بها دون سواها موهماً بأنه ليس كله معجزاً ثم يتساءل عن الاعجاز في مثل هذه الآية : « وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً » كيف يظهر وكيف يبرهن عليه وهل احتوى شروط هؤلاء الجماعة في أن يكون الكلام في أعلى درجات البلاغة ثم يقول لو أن كل كلام جاء في أعلى درجات البلاغة معجز لكان كلام الحسن وسهل بن هارون و . . . . . و . . . . معجزاً ولا يصح هذا لأنه يجوز أن يؤتى بما يماثله وشرط الإعجاز عدم امكان المماثلة ولأنه لو كان إعجازه كما يقولون لما اشترطوا أن يكون المعجز ثلاث آيات فأكثر ولكانت الآية أو جزء منها كافية في الإعجاز .

وهو يعتقد بأن القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث أن الله قد بلغ به ما أراد فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها وليس هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من متوسطه ويرى القرآن معجزاً لأنه كلام الله تعالى والبرهان على ذلك أنه استعمل الحروف المقطعة في أوائل السور فلم ينل ذلك من بلاغته ولو استعمل رجل ذلك لعيب عليه لأنه خارج عن البلاغة المعهودة ويعقب على ذلك بما يفهم منه أنه يقول بالصرفة فيقول : « فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق ثم يذكر أن القرآن حكى كلاماً قاله المخلوقون فكان معجزاً لأنه ورد في القرآن وصار قرآناً وليس معجزاً في كلام المخلوقين .

٥ – القرآن كله قليله وكثيره معجز في رأيه ولذلك يخطِّئ رأي الأشعرية القائل بأن أقل المعجز مقدار أصغر سورة محتجين بقوله تعالى : « فأتوا بسورة

من مثله » بأن الله لم يقل بأن ما هو أقل من السورة ليس معجزاً ويذكر أن سائر أهل الاسلام على هذا الرأي ويقول : « ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز » ٠

ويفصل في نقد من يجعلون أقل المعجز مقدار سورة فيتساءل عن المقصود بالسورة ماهو ؟ عدد آياتها أو عدد كلماتها أو عدد حروفها فاذا كان المعجز سورة كاملة كانت سورة البقرة إلا آية منها غير معجزة وإن قالوا مقدار السورة آيات وأقلها ثلاث كانت آية الدين غير معجزة وكان « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » معجزاً مثل سورة البقرة وكان «والضحى والفجر والعصر معجزاً» ؟ فإن قالوا من متفرقات فلا يكون فيهن إعجاز سقط الإعجاز عن ألف آية متفرقة وإمكان المجيء بمثلها وذلك يبطل الإعجاز عن القرآن وكان « ولكم في القصاص حياة » غير معجز وهذا نقض لقولهم إنه في أعلى درجات البلاغة وإن قالوا إن المقصود بذلك عدد الكمات أو عدد الحروف بطل احتجاجهم لقوله تعالى : « فأتوا بسورة من مثله » لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس سورة ولم يقل تعالى مقدار سورة وبذلك يلوح تمويههم ، ثم يناقض ابن حزم قول من يقول إن المعجز عدد السورة حروفاً بنفس الطريقة ويرده ويتابع المناقشة فيقول : إذا كانت الآية منه أو الآيتان غير معجزة وكانت مقدوراً على مثلها فكل القرآن يكون حينئذ مقدوراً على مثله وهذا كفر فإن قالوا اذا ضارت ثلاث آيات صار غير مقدور عليها قيل لهم - هذا غير قولكم إن إعجازه هو من طريق البلاغة لأن طريق البلاغة في الآية مثله في الثلاث ٠

وخلاصة رأيه أن القرآن معجز لأنه قرآن فكل كلمة فيه معجزة وكل حرف فيه معجز إذا عد من القرآن فاذا لم يعد منه لم يكن معجزاً كما لو ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً وأن القرآن استعمل أشياء تخالف البلاغة فيما لو كانت في كلام الناس وعدت فيه معجزة مثل ادخاله معنى دخيلاً بين معنيين لا يكون بينهما في العادة ٠

وعلى هذا فان ابن حزم لا يرى القرآن معجزاً ببلاغته وأن في استطاعة الناس أن يأتوا بمثله بلاغة مع اعترافه بأنه في أعلى طبقات البلاغة . ونراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين فهم يجعلون إعجاز القرآن وسيلة الى اثبات أنه منزل من عند الله وإثبات النبوة وهو يعكس الأمر فيجعله معجزاً لأنه كلام الله وقد سبقه الى هذا بندار الفارسي فيما رواه التوحيدي (الاتقان للسيوطي ، فصل الاعجاز ج ٢ ص ١٩٨ـ٢١٢) . ومن مميزات ابن حزم أنه يستعمل حججاً قوية في الرد على من يقولون بالاعجاز البلاغي . وأرى أنه عرض رأيه عرضاً حسناً قوياً وإن كنت أرى أن القرآن يمتاز في جملة ما يمتاز به بأنه في الدرجة العليا من البلاغة .

٩ ـ الخفاجي :

ومن له رأي في الاعجاز في هذا العصر ابن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦ هـ) وقد أورد آراءه في الإعجاز في كتاب « سر الفصاحة » في علوم البيان وهو يرى فيه أن علم الفصاحة ضروري للأديب ليحسن قول الكلام ونقده . (سر الفصاحة للخفاجي ص٣ و٤) كما أنه ضروري للعلوم الشرعية لأن المعجز الدال على نبوة محمد هو القرآن ويقول إن هناك قولين في الخلاف الظاهر فيما به كان القرآن معجزاً القول الأول خرق العادة بفصاحته وعلم الفصاحة ضروري للقائل بهذا حتى يعلم بم خرق العادة . والقول الثاني هو أنه معجز بصرف العرب عن معارضته مع أنها في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم وهو يرى أن مسيلمة لم يأت بما يصح أن يسمى معارضة للقرآن لأن كلامه خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص .

وهو يذكر تقسيم الرماني لتأليف الكلام إلى ثلاثة أضرب متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا وينكر عليه هذه القسمة ويجعلها

قسمين متنافراً ومتلائماً ويذكر أن بعض المتلائم أكثر تلاؤماً من بعض كما يخالفه في قوله بأن القرآن متلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى وهو يعني بذلك جميع كلام العرب فليس الأمر على ذلك ويرى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في ناحية الفصاحة وأن في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه وهو ينكر على الرماني لجوءه الى هذه الحجة ليثبت للقرآن الإعجاز • والوجه الصحيح عنده هو الصرفة وفي هذا يقول : « وإذا عدنا الى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك » وهو نفس رأي الشريف المرتضى في الصرفة الذي قلنا إنه يخالف رأي النظام قليلاً •

ويكمل الردّ على رأي الرماني بأن القرآن يتألف من ألفاظ مفردة جاءت في كلام العرب سواء اذا ادعى أن القرآن في الدرجة العليا أو في الدرجة الوسطى منها ولا يرى للقرآن ميزة من حيث تلاؤم الكلم ويورد رأيه الخاص في تنافر اللفظ فيقول قد يحصل من تقارب مخارج الحروف كما يحصل من تباعد مخارجها ويضرب لذلك أمثلة عدة •

وينكر الخفاجي قول القائلين بأن كل أقسام القرآن معجزة ومتساوية في الفصاحة ويقول إن بعض القرآن أفصح من بعض ويقدم أمثلة مؤيدة لرأيه عدة آيات ثم يمثل لرأيه هذا بقوله متسائلاً : « وليت شعري أي فرق بين أن يخلق الله وجهين أحدهما أحسن وأصبح من الآخر وبين أن يحدث كلامين أحدهما أبلغ وأفصح وهل يفرق بينهما الا مقترح » •

ولا يرى مانعاً من أن يكون بعضه أفصح من بعض لأن التوراة والانجيل والزبور وهي كلام الله لم تكن معجزة خرقها العادة بالفصاحة ويقول إنما منعهم عن القول بهذا أنهم جعلوا إعجازه في خرق العادة بفصاحته فكيف يكون بعضه أفصح من بعض • وهو ينقض رأيهم هذا بأنه لا مانع حتى في

هذه الحالة من أن تتفاوت المعجزات في المظم ويرجع الى القول بأن إعجاز القرآن إنما هو بالصرفة وليس ببلوغ الغاية في الفصاحة .

وخلاصة ما أتى به الخفاجي أنه لا يرى فصاحة القرآن كافية للبرهان على إعجازه ويقول بالصرفة على طريقة المرتضى ويرى أن بعض القرآن أفصح من بعض وهذا الرأي الأخير صحيح في اعتقادي وقد ذهب اليه ابن حزم كما رأينا حين عرض رأيه .

١٠ ــ عبد القاهر الجرجاني :

ويأتي عبد القاهر الجرجاني فيتزعم نظرية النظم في إعجاز القرآن فقد فصّل فيها وعرضها عرضاً مستفيضاً وانتقل بها من حيّز الألفاظ الى حيّز المعاني . وهو متكلم وأديب . ويعتقد كثيرون بأنه أول من ألف في علم البلاغة . والجرجاني أول من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي . وكتابه دلائل الإعجاز دليل على أن البلاغة في شكلها العلمي ظهرت من فكرة إعجاز القرآن . فهو إنما كتبه إذن لغرض ديني . ويناقش عبد القاهر مسائل في البلاغة والنحو ويقول بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها وقد ألف الجرجاني كتاباً آخر في البلاغة هو كتاب « أسرار البلاغة » . وبه يتم ما بدأه في دلائل الاعجاز إلا أنه يهتم بصفة خاصة في بيان قيمة البلاغة وسرها من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس ومن حيث مراعاة أحسن الطرق لإفهام النفس الانسانية ما يريد أن يؤديه المتكلم .

وقد سبق أن ذكرت أثناء عرض آراء الخطابي أن للجرجاني شرحين على كتاب الخطابي كبيراً سماه المعتضد وصغيراً وأنهما كانا مقدمة لوضع كتابيه المشهورين : دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة .

ويمكن تلخيص آراء الجرجاني :

١ — لا يقوم إعجاز القرآن في رأيه على الأغراض الأدبية المقصودة في وضع الكلام من حيث معانيها العامة كوصف الكريم بأنه كالبحر أو وصفه بالكرم بصورة مجردة بل بالصورة الجميلة التي تنقل المعنى من السذاجة الى الحلية في التعبير والجمال في الأداء وحسن العرض للمعنى بمعان ثانوية فرعية تكمله وتضفي عليه جمالاً وخلابة فيحسن فيه التصوير ويقوى المعنى بما يستعمله المنشئ من أساليب النظم البلاغية من تقديم وتأخير واستعارة على ما تبحث فيه علوم المعاني والبيان والبديع . وليس الكلام عنده معجزاً لأنه حكمة . وليس الإعجاز أيضاً في تلاؤم الألفاظ مفردة أو مركبة (دلائل الاعجاز ص ١٩٦) فانها موجودة كذلك في كثير من كلام العرب وإنما هو في حسن النظم . وهو يرى النظم قائماً على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود بجمال وقوة . ويتم نظم هذه المعاني نظماً متلائماً بالاستعانة بعلم النحو في معناه الواسع في مفهوم عبد القاهر وهو يشمل علمي النحو والبلاغة . فنحن لا نقدم ونؤخر في الكلام أو نقوم بعمل فيه فنستعمل المعاني والقواعد النحوية الا لتخدم المعنى وتحسن سبكه فتجيد التلاؤم بين معاني الألفاظ . فالنحو بمعناه الواسع إذن خادم لنظم المعاني وليس خادماً للألفاظ (ص ٣٥ من دلائل الإعجاز) وقد كسر عبد القاهر الجرجاني كل كتابه دلائل الإعجاز على شرح هذه الأنظار وعرضها والرد على مخالفيها ونقض ما سواها وقد أحسن في عرضها كل الإحسان وإن كان قد أهمل ناحية موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركبة إهمالاً لا يغتفر له ولعله إنما بالغ في نصرة المعاني لمبالغة غيره في نصرة الألفاظ بمجرد رد الفعل النفسي الذي يقابل المبالغة بمبالغة مثلها أو اشد منها تعاكسها في الاتجاه .

٢ — يذكر عبد القاهر أن النبي قد تحدى العرب الذين عرفوا المقصود من هذا التحدي ولكنهم عجزوا عنه .

٣ً — ليس الاعجاز بمعاني الكلمات المفردة وإنما هو باجتماعها منظومة لتؤدي معنى شاملاً كما قلنا وليس كذلك في الموازنة بين كلمات وكلمات القرآن حركة وسكوناً وإلا كان مسيلمة قد قلد القرآن .

٤ً — ليس إعجاز القرآن في مراعاة القواطع والفواصل فليس ذلك بأصعب من مراعاة الوزن والقافية في الشعر ويذكر أن العرب كانوا قادرين على مثل ذلك كما يذكر أن أحدهم ألف كلاماً له فصول وربما كان يقصد المعري (ص ٢٩٦ — ٢٩٧ من دلائل الاعجاز للجرجاني) .

٥ً — يذكر قول الجاحظ (ص ٢٩٨ من الكتاب المذكور) الذي يستفاد منه أن العرب أدركوا بالحدس وفي سريرة نفوسهم بلاغة القرآن وعجزوا عن مجاراتها ثم يقول الجرجاني إن العرب لم يفهموا من الاعجاز الفواصل والسكنات والحركات بدليل أنهم لما قارنوا بين : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وبين « قتل البعض إحياء للجميع » لم ينظروا الى ذلك بل الى بلاغة المعنى . وأنا أشك في أن هذه المقارنة قد حصلت فعلاً زمن النبي وأميل الى أنها حصلت بعده بزمن طويل في عهد الترجمة والى أن الجملة الأخيرة « قتل البعض إحياء للجميع » قد ترجمت عن كتب أجنبية .

٦ً — يشنع على القائلين بالصرفة (ص ٢٩٩ من الكتاب نفسه) وينقض رأيهم بأنه اذا كان الأمر كذلك فلماذا يبهرهم القرآن إذن . أوليست دهشتهم لشيء وجدوه فيه غريباً وفوق طاقتهم ؟

٧ً — لا يمكن أن يكون الإعجاز في الاستعارة وما يتعلق بالبديع لأنها ليست موجودة في كل آيات القرآن وهو يسير في هذا على غرار القاضي الباقلاّني .

٨ -- ينعي عبد القاهر على من يجعل الإعجاز في استعمال غريب الألفاظ كما ينعي على من يجعلونه في استعمال الألفاظ السهلة الخالية من الثقل على اللسان (ص ٤ ٣ من دلائل الإعجاز) .

٩ – إنما كانت معجزة النبي بلاغة القرآن لأن معجزة كل نبي كانت في الناحية التي اشتهر بها قومه . (ص ٣٦٠ منه) .

١٠ – ينكر أن يكون القرآن معجزاً لمجرد كونه كلام الله – وهو رأي ابن حزم وبندار الفارسي – (ص ٣٩٨ منه) .

١١ – لا ينكر في موضع (ص ٤٠١) من كتابه شأن خفة الحروف في النطق في فضيلة الكلام وإنما ينكر أن تجعل وحدها سبيلاً الى الإعجاز .

١٢ – يؤمن بأن عمدة إدراك البلاغة في النظم والاعجاز فيه هو الذوق والاحساس الروحي وكثرة الاطلاع على كلام العرب . (ص ٤١٨ من دلائل الإعجاز) .

• وهنا لا بد لنا من القول بأن عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كان قدوة من جاء بعده من المؤلفين في البلاغة وأعجاز القرآن ببيانه وأنه بعد مرن الفكر في جعله الإعجاز في شيء غير محسوس تماماً . وليس لنظريته قوة البرهان الرياضي الذي ينفي أو يثبت بالأدلة العقلية المشتركة بين كل الناس . وإنما يقوم الإعجاز في نظره بالمعاني ويدرك بالذوق . وذلك بوضعه نظرية مرنة اذا تأملناها أدركنا أنها تساعد المؤمن بإعجاز القرآن على دعم إيمانه ولكنها لا تقنع المنكر او الملحد وذلك لأن الاقناع فيها قائم على الذوق الأدبي الفني وعلى شيء من الشعور الديني ومحال أن يجد الملحد او الشاك في القرآن من الروعة والجمال ما يجده المؤمن وقد يكون كتاب آخر يؤيد عقيدته وأفكاره أروع عنده من القرآن . ولا يتيسر أن يتفق الناس في تقدير الجمال في القول كما أنهم لا يتساوون في تقدير الجمال المدرك بالحس . ونرى أن مقاييس الجمال حتى ما وضع منها في عصرنا مهما بلغت من الدقة ، لا توحد أذواق الناس . فنظرية عبد القاهر إذاً لا تحسم الخلاف وان كان ما جاء به يبدو مسلماً به في تصور الكلام البليغ لا سيما وأنه قد أحسن عرض نظريته . ونستطيع أن نلمس من كلامه أنه مفكر استفاد مما ذكره سابقوه وما كان مقلداً أو جامعاً لآرائهم

بل هو مبتكر ألبس نظرية النظم ثوباً قشيباً ونقلها من حيّز الألفاظ الى حيز المعاني . ومع أن قواعد البلاغة التي جاء بها ليست بقاطعة كما قلنا في حسم النزاع فانها على كل حال محاولة جدّية مجدية تساعد على تذوق الأدب وفهمه وكتابته ومراعاة الصحة والجمال فيه . وقد أفرغ هذه القواعد التي جاء بها عبد القاهر من جاء بعده من علماء البلاغة في قوالب جامدة جافة ذهبت بعلم البلاغة عن غايته وأبعدته عن التجديد والابتكار وأخضعته للمنطق والتعنت الفلسفي العقلي وأهملت ما يساعد على تنمية الذوق الأدبي كما أنها لم تكمل ما أنقصه عبد القاهر ولم تكن الا عالة عليه وعلى من عاصروه أو سبقوه .

ولم تكن مهمة السكاكي أول من صنف وبوّب هذا العلم بالشكل الذي نعرفه الآن الا اختصار ما جاء به عبد القاهر وتبويبه والاسترسال في إخضاعه للبراهين المنطقية والتأثيرات الفلسفية .

وبالانتهاء من الكلام على عبد القاهر أنتهي من الكلام على من درستهم ممن ألفوا في فكرة الإعجاز في هذا العصر وكان لهم بحث أو اجتهاد فيها .

تلخيص ونقد :

إذا أردنا أن نعرض فكرة عامة عن هذا العصر قلنا : إن كثيراً من الباحثين في الإعجاز كانوا مجرد جامعين لآراء من سبقوهم أو مقلدين وإنه قد ظهر القول بصورة أصرح في نظرية أن القرآن معجز لأنه كلام الله على لسان ابن حزم وظهر قول داعي الدعاة بأن القرآن معجز بما فيه من معاني الحكمة ويبدو واضحاً في زمن عبد القاهر الجرجاني أن التيار الفكري كان متجهاً نحو الإعجاز بالألفاظ نخشي من ذلك عبد القاهر على فكرة الإعجاز أن تزول اذا وجد بين الأدباء من يستطيع معارضة هذه الصنعة اللفظية فناصر فكرة النظم القائم على تلاؤم المعاني في خدمة الغرض العام المقصود تلاؤماً يراعى فيه التصوير وحسن التعبير والصياغة . وظهر القول بأن بعض القرآن أفصح من بعض على لسان ابن سنان الخفاجي .

القرن السادس

أشهر من تكلم في قضية الإعجاز في هذا العصر متكلمان : أحدهما له ابحاث واسعة في الفلسفة وهو الغزالي والثاني مؤلف في السيرة النبوية وهو القاضي عياض ، ومفسران أحدهما من المعتزلة وهو الزمخشري والثاني ابن عطية ، وفيلسوف كان يسعى الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية ومبادىء الدين الاسلامي وهو ابن رشد . وسأتحدث على كلّ واحد منهم على حدة فيما يلي .

١ – الغزالي :

يرى الغزالي أن القرآن مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين (الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها) وكان يذهب الى أن في القرآن جميع العلوم الدينية والدنيوية وأنها كامنة في مطاويه لا يدركها الا العالمون فكأنه يرى أن هذا وجه من وجوه الإعجاز لأنه انما ذكره قاصداً به أن يبين عظمة القرآن . قال الأستاذ أمين الخولي بعد ان ذكر فكرة اتساع القول في احتواء القرآن جمل العلوم جميعاً واشتماله الى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية وظاهرة وخفية سائر علوم الدنيا : « والغزالي الى عهده كان أكثر من استوفى بيان هذا القول (الإحياء الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ص ٢٥٩ — ٢٦٤) وأن في القرآن رموزاً ودلالات على كل ما اختلفت فيه الخلائق في النظريات والمقولات والقرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وبعد أن يذكر الغزالي العلوم ويذكر أن منها ما سوف يوجد ومنها ما اندرس يذكر أن اوليات العلوم كلها في القرآن فإنها جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ..... ويشير أخيراً الى أنه لو ذهب يفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة الى مجامعها » .

ويلاحظ أن الغزالي بين المؤلفين الذين تكلمنا عنهم حتى الآن هو أول من يعرض لهذه الفكرة القائلة باحتواء القرآن على جميع أوليات العلوم الدينية والدنيوية وسنرى كيف يتوسع فيها المتأخرون .

٢ — القاضي عياض :

وللقاضي عياض (٥٤٤) في كتابه « الشفاء ص ٢١٦ — ٢٣٧ ط دار السعادة سنة ١٣١٢) رأي في الإعجاز أورده السيوطي في الاتقان (ج ٢ فصل الإعجاز) وخلاصته أن إعجاز القرآن في الإيجاز والبلاغة والأسلوب الغريب والإخبار بالمغيبات والإخبار عن الأمم الماضية على أمية النبي وتعجيزه أيضاً لقوم في قضايا لم يفعلوها كقوله لليهود : « فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » ومن فضائله الروعة في قلوب السامعين — ويذكر بهذه المناسبة اسلام جبير بن مطعم حين سمع النبي يقرأ في صلاة المغرب سورة الطور — وأنه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه وأنه لا يخلق على كثرة الرد وجمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب وذلك في كلمات قليلة وأحرف معدودة .

ونتبين من رأي القاضي عياض في الإعجاز أنه لم يأت بجديد وإنما لخص تقريباً رأي الباقلاني وزاد عليه جمع القرآن علوماً ومعارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه . ويعرض لرأي الصرفة أثناء كلامه فلا ينكر هذا القول بل يثبته إثباتاً مبهماً ضعيفاً ويقول إنه على هذا القول أيضاً معجز .

٣ — الزمخشري :

يبني الإمام الزمخشري (٥٣٨) فكرة الإعجاز في الكشاف على خصائص الكلمات والنظم في التعبير ويوافق رأي الجرجاني قليلاً فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير ثم على ما يتصل بعلم البيان ويذكر الدكتور محمد خليل الخطيب في مقدمة حسن الصنيع للبسيوني ـ وأوافقه على رأيه ـ

أن الامام الزمخشري ينبغي أن يعدّ بعد عبد القاهر في صدر الواضعين لفن البيان ويذكر بهذه المناسبة رأي ابن خلدون في «أن ثمرة فن البيان فهم الإعجاز من القرآن وأن المفسرين أحوج الناس الى هذا الفن وأن أكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير» .

ومن الحق أن نقول إن الإمام الزمخشري يعدّ بين المفسرين أول او اكثر من اهتم ببحث البيان في القرآن والى جانب تطبيقه العملي فن البيان في إظهار إعجاز القرآن نراه أثناء تفسير آية التحدي في سورة الإسراء : « قل لئن اجتمعت الانس والجن ... الخ الآية» يقول بضرورة كون القرآن مخلوقاً حادثاً حتى يكون معجزاً ويصح به التحدي فإن كان قديماً كان محالاً على البشر ولا يصح أن يتحداهم النبي به فيقول : «والعجب من النوابت ـ يقصد بهم نوابت أهل السنة ـ ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه . وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق» .

وقد ردّ عليه في هذا الشيخ ناصر الدين احمد بن محمد الاسكندري المالكي (٦٨٣) وقال بأن اعتقاد اهل السنة يقوم على أن مدلولات العبارات قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن كما أن الألفاظ الدالة التي بين أيدينا يطلق عليها قرآن ايضاً والمتحدى به والمعجز هو الدليل أي الألفاظ الدالة لا المدلول وإنما يتحرز العلماء من اطلاق هذا القول لسببين الأول أن السلف كفوا عنه

فاقتفى خلف آثارهم والثاني أن هذا القول ربما أوهم الضعفاء بأن مدلول القرآن حادث لا قديم . (تعليقات الاسكندري على كتاب الكشاف في الحاشية) .

وكذلك علق الشيخ محمد عليان المرزوقي في الهامش المطبوع مع الكشاف على قول الزمخشري بكلام له نفس معنى كلام الاسكندري . وكلام الزمخشري يدلنا على أن مسألة خلق القرآن كانت ولا تزال قيد بحث علماء الكلام حتى عصره .

ويذكر الزمخشري أثناء تفسير آية سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » أن الله جاء في هذه الآية بما هو الحجة على إثبات النبوة وذلك حين يتحداهم فيدركون عجزهم ويعلمون أنه من عند الله .

ويقول الزمخشري في مقدمة تفسيره ما معناه إنه لا بد من علم البيان والمعاني لإدراك معجزة رسول الله ومعرفة لطائف حجته وأن يوجد ذوق في الفكر والادراك ودراية بأساليب النظم والنثر ويقول إن القرآن معجز على وجه كل زمان ودليل إعجازه سكوت العرب عن معارضته مع كثرة عنادهم وتوفر دواعيهم واشتهارهم بالأنفة .

وآراء الزمخشري جاءت في تفسيره ولم أعرف أنه وضع في هذا البحث كتاباً خاصاً أو أفرد له باباً .

(يتبع) نعيم الحمصي

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهود التالية لأيام العباسيين)

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٢ —

٢ — عهد الجلائرية

وفي عهد الجلائرية ، وهم مغول أيضاً ، ظهر عدة علماء الا ان العناية كانت أقل لما طرأ على الدولة من ضعف وان لم ينقطع الاتصال بعلوم الفلك وانما مضت على اطرادها ، وأبقت الدولة الوضع على حاله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن العلماء المشهورين :

١ — صفي الدين بن عبد الحق :

هو ابو الفضائل عبد المؤمن بن كمال الدين البغدادي . وكان معروفاً بالفرائض وبعلوم جمة . وكان يعرف الهيأة والحساب معرفة جيدة . كان في عهد المغول وأدرك دولة الجلائرية . ومن مؤلفاته :

١) المعرفة بدلائل القبلة . وظهرت بعد ذلك مؤلفات عديدة في هذا الموضوع . وتوفي سنة ٧٣٩هـ — ١٣٣٨ م [١] .

٢) شمس الدين بن الأكفاني :

هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري (السنجاري) المعروف

---

(١) الشذرات والدرر الكامنة وطبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ٦٠ وتاريخ العراق ج ٢ ص ٣٢ .

بـ (ابن الأكفاني) ، كان من أبرز العلماء في الفلك والرياضيات والتنجيم .
ومن مؤلفاته :

١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ، وهذا الكتاب بيّن فيه أموراً مهمة في هذه العلوم خاصة وعين الكتب المعتبرة في الرياضيات والفلك والاختيارات .

٢) اللباب في الحساب ، منه نسخة في أياصوفيا ، توفي سنة ٧٤٩ هـ بمصر [١] .

٣ — جمال الدين البابصري .

هو ابو العباس جمال الدين احمد بن علي بن محمد البابصري البغدادي الحنبلي الفقيه الفرضي الأديب ، ولد سنة ٧٠٧ هـ ، برع في الفرائض والحساب وتوفي سنة ٧٥٠ هـ [٢] .

٤ — عبد الصمد المنجم التبريزي :

توفي أيام السلطان أويس من الجلائرية ، له في فن الهيأة وأحكام النجوم اليد الطولى ، ومما قال فيه برهان الدين المدني :

«نظام الدين عبد الصمد بن ابي البركات النهشلي الشافعي التبريزي ... له اليد الطولى في علم الفلك وأحكام النجوم وما يتعلق بذلك على الدين والأمانة ، ولد سنة ٧٠٣ هـ وحج سنة ٧٦٢ هـ وفي آخر الوقت ولي قضاء قضاة تبريز» اهـ [٣] .

٥ — المولى شمس الدين العصار :

هو شمس الدين الحاج محمد العصار ، من المشهورين في عصر السلطان أويس من الجلائرية ، ويعدّ من علماء الفلك والرياضيات والاسطرلاب ، وهو من تلاميذ عبد الصمد المنجم ، توفي في أيام السلطان أحمد الجلائري سنة ٧٩٢ هـ [٤] .

---

(١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ١١٥ والوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٥ .
(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٦٦ .
(٣) دانشندان اذربيجان ص ٢٥٦ .
(٤) « « ص ٢٧٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا وعلوم الفلك مضت على اطرادها في هذا العهد الا ان المدونات قليلة جداً . وكانت علاقة الجلائرية ببغداد كبيرة . ويعد علماء هذه الدولة من علماء بغداد أو الواردين اليها .

٣ — الدولة التيمورية

استولت هذه الدولة على بغداد سنة ٧٩٥هـ — ١٣٨٣م . واختارت جماعة من علماء بغداد ورجالهم في الفن والعلم والهندسة والبناء . وكانت علوم الفلك نشأت في بلاد الترك أيام المغول . وظهر الأستاذ الجغميني . والفضل الكبير في تقدم هذا العلم يرجع الى أحد أحفاد تيمور وهو أولوغ بك ابن شاه رخ ابن تيمور . وكان تيمور قد ركن اليه غالب رجال البلاط الجلائري . وبينهم الفلكيون والمنجمون . فاستفاد أولوغ من ثقافة هؤلاء .

رعى هذا العلم ، وجمع علماءه . وبينهم ايرانيون وترك . وبنى رصداً مدة سلطنته بسمرقند أو بالتعبير الأصح كانت امارته في سمرقند مستمدة من والده شاهرخ . وليها بعد وفاة جده ودام الى أن ملك بعد والده . ولد في حدود سنة ٧٩٠هـ . وتوفي سنة ٨٥٣هـ [1] . وكان من تصانيفه :

١) الظل المنكوس الستيني .

٢) الزيج الأولوغ بيكي . وسماه ابو الثناء الالوسي بـ (سلطان الازياج) . ولقد صرفت عناية كبرى بهذا الزيج ودام العمل به أكثر من الزيج الايلخاني ومنه نسخ عديدة في بغداد والشام وغيرهما . شرحه علي القوشجي وميرم چلبي ، واختصره محمد بن ابي الفتح الصوفي المصري . وعرب باسم (تذكرة الفهيم في عمل التقويم) ، و (التسهيل) لهذا الزيج من تأليف عبد الرحمن الصالحي الموقت بالجامع الأموي وهو محلول أولوغ بك . وشرحه البرجندي في سنة ٩٢٩هـ . منه نسخة في خزانة المجلس . وعندي نسخة منه .

(١) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٦ وغيره .

عني به حق العناية واشتركت فيه رجالات العلم من مختلف الأقطار ، ولم يحل محله الزيج الهندي الا بعد حين ثم حلّ محله الزيج المعروف بالكاسيني ثم (زيج لالاند) . وهذه ظهرت في الغرب ونسخت سائر الأزياج .

والدر النظيم في علم التقويم على أصول رصد أولوغ بك . منه نسخة لدى الأستاذ احمد عبيد وأخرى في الخزانة الشرقية . ومؤلفه محمد بن عبد الرحمان العفيفي الشافعي . ورد ذكر مؤلفه في المشرق ج ٣ ص ١١٢٩ .

ومن العلماء في الفلك أيام الدولة التيمورية :

١ — غياث الدين جمشيد الكاشي ، وله :

١) نزهة الحدائق في كيفية صنعة الآلة المسماة بالطبق الناطق . رسالة باللغة العربية طبعت على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في آخر مفتاح الحساب وعليها ذيل ألحق بها وطبع معها . ألفه في شعبان سنة ٨٢٩ هـ .

٢) رسالة الوتر والجيب .

٣) الزيج الخاقاني بالفارسية . قدمه الى أولوغ بك حين قدم الى سمرقند وقبل أن يكتب الزيج الأولغ بيكي . وعندي نسختان منه احداهما كاملة والأخرى ناقصة الورقة الأولى . ومنه نسخة في اياصوفيا .

٤) سلم السماء في الهيئة . طبع على الحجر .

٥) مفتاح الحساب بالعربية . منه نسخة في (خزانة يكي جامع) . وطبع على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في ايران وفي آخره نزهة الحدائق مع ذيلها . ولخصه مصنفه وسماه (تلخيص المفتاح) . ومنه نسخة مشروحة في خزانة المتحف العراقي . وذكره صاحب كشف الظنون في مادة (أسنان المفتاح) .

٦) زيج التسهيلات .

٢ — السيد الشريف الجرجاني :

هو الشريف علي بن محمد الجرجاني . ومن مؤلفاته :

١) شرح ملخص الهيئة للجغميني . منه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق كتبت سنة ٨٧٠ هـ . وفي خزانة الأوقاف العامة وفي خزائن أخرى عديدة .

٢) حاشية على التحفة الشاهية . الأصل لقطب الدين الشيرازي .

٣) شرح التذكرة للطوسي . توفي سنة ٨١٦ هـ — ١٤١٣ م .

٣ — قاضي زاده الرومي :

هو موسى بن محمد بن محمود القاضي ببروسة المعروف بـ (قوجه ملا محمود) . نال حظوة كبيرة لدى أولوغ بك . أخذ عن المولى الفناري ومن مؤلفاته :

١) شرح الملخص للجغميني . أكمله سنة ٨١٤ هـ وهو من كتب الدرس . منه نسخة بخط بدنه في خزانة أياصوفيا . وعليه حاشية للبرجندي .

٢) رسالة في القوس قزح .

٣) شرح أشكال التأسيس . والأصل للعلامة شمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ (كذا) . وعليه حاشية لمير ابوالفتح المتوفى سنة ٩٧٦ هـ وحاشية لعبد البر العوفي كتبه باسم محمد صادق بن محمد افندي المعروف بـ (شيخ زاده) . وهذا من كتب الدرس أيضاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤) رسالة في استخراج الجيب . ولعبد الوهاب من أهل قواله مؤلف بهذا الاسم . وطبع مع حاشية محمد الحاج بن ابي نصر العراقي سنة ١٢٦٨ هـ .

٥) سمت القبلة . ذكره صاحب كنه الأخبار .

مات في ما وراء النهر في منتصف المائة التاسعة . وعلى قول سنة ٨١٥ هـ . ولم يتبين لنا وجه الصواب من هذه الأقوال في تاريخ وفاته [1] .

٦) رسالة في الحساب . وعليها شرح في خزانة الشهيد علي باشا باستنبول .

٤ — علي القوشجي :

هو المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بـ (القوشجي) . كان من تلامذة قاضي زاده الرومي . وعرف باكمال رصد سمرقند ومن رجال أولوغ بك .

(١) الآثار الباقية لصالح زكي . والتراث العلمي ص ٢٣٢ .

ومن مؤلفاته :

١) فتحية في الهيأة . ألفها لما ذهب السلطان محمد لمحاربة حسن الطويل . وقد اشتهرت شهرة عظيمة . شرحها أحد تلامذته العلامة سنان المتوفى سنة ٨٩٨ هـ ولعله مصلح الدين اللاري المعروف بـ (عجم سنان) . وشرحها ميرم چلبي المتوفى سنة ٩٣١ هـ . وترجمها الى التركية سيدي علي رئيس المتوفى سنة ٩٧٠ هـ وسميت ترجمته (خلاصة الهيأة) . وترجمها المولى پرويز بالتركية سنة ٩٨٧ . وسماها (مرقاة السماء) .

٢) رسالة في حلّ أشكال القمر .

٣) شرح التحفة الشاهية . شرحها بقال أقول . وصل به الى بحث الدوائر . وله تعليقة على المتن الى الباب التالي .

٤) الرسالة المحمدية . منها نسخة في خزانة الأشهر .

٥) شرح زيج أولوغ بك .

٦) مجموعة في النجوم . منها نسخة في الخزانة الحميدية باستنبول .

٧) مسرة القلوب في دفع الكروب .

وتوفي سنة ٨٧٩ هـ — ١٤٧٤ م .

ولم تنقطع العناية بالفلك بوفاة أولوغ بك . فان ركن الدين بن شرف الدين الحسيني الآملي كتب (الزيج الجامع السعيدي) . نقح به الزيج الايلخاني . كتبه بالفارسية لأمير زاده ابي القاسم بابربهادرشاه وجعله باسم السلطان ابي سعيد كوركان سنة ٨٦٠ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس الايراني كتبت سنة ٨٨٩ هـ كما ان له (پنجاه باب سلطاني) في كليات الأعمال ومعرفة الاسطرلاب .

ومما كتب (زيج ملخص ميرزائي) تأليف عبد القادر بن حسن الروياني . كتبه بالفارسية وقدمه الى السلطان ميرزا علي .

ومن الأزياج (زيج هندي محمد شاهي) · تأليف محمد علي الشهير بـ (ميرخان) · كتبه سنة ١١٣١ هـ · ثم ان الشاه محمد عمل رصداً · وأرسل جماعة من العلماء لمراجعة أزياج أوربا وتحقيق الزيج فقاموا بما عهد اليهم وكتبوا زيجاً هندياً مصححاً لا يزال معروفاً بهذا الاسم[1] ·

ومن هذا كله علمنا ان الثقافة الفلكية تمكنت في آل تيمور في ماوراء النهر وفي الهند · وان الهنود تأثروا بالعرب والايرانيين وأشهر من عني بعلم الفلك من الهنود المهراجا جاي سينگ الثاني (١٦٨٦ م — ١٧٤٢ م) وكان أمر بنقل المجسطي من العربية الى السنسكريتية وأقام المراصد في بعض المدن المختلفة · جهزها بآلات الرصد المعروفة آنئذ أولها الاسطرلاب[2] ·

ومن هنا علمنا اتصالات الأقطار بنا وبمجاورينا · وان الدولة التيمورية لم تكن متصلة بنا باستمرار وانما تخلل ذلك فترات عديدة دامت الى سنة ٨٠٨ هـ · ثم عاد الجلائرية فلم ترسخ لهم قدم · بل انقرضوا من بغداد سنة ٨١٤ هـ — ١٤١١ م ونزلوا البصرة · والثقافة لم تكن دولية لتزول بزوال الدولة الحاكمة · وانما كانت ترعاها المدارس العلمية · وهي قائمة بموقوفاتها · وتمدها خزائن الكتب بالمعرفة · والروح العلمية راسخة في النفوس ·

٤ — دول التركمان في العراق

من سنة ٨١٤ هـ — ١٤١١ م الى سنة ٩١٤ هـ — ١٥٠٢ م

قلت العناية بالعلم في هذه العهود أيام قراقوينلو وآق قويتلو الا أن المدارس كانت دائبة في عملها · والرغبة الشخصية ماضية في طريقها · ولم نستطع أن نسجل حوادث ذات شأن في الفلك والظاهر أن الحال اطرد على ما كان ·

(١) خزانة المجلس ص ١٠٢ ·

(٢) الاسطرلاب عند العرب محاضرة للأستاذ أحمد مختار صبري ص ٢٧ طبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٤٧ م ·

وظهر عندنا في التنجيم (ابن فهد الحلي) . ومثله (المشعشعون) . استخدموا الشعبذة أو الشعوذة لاستغلال البسطاء .

ولم ينفك العلماء عن الاهتمام بالعلوم ومنها الفلك بل لم تخل هذه العهود من مشتغلين وتغلبت الدراسات الفارسية لما رأت من الاهتمام بها في ايران وفي ماوراء النهر والهند والأناضول .

ومن الفلكيين المعروفين عندنا :

١ — الغياثي . مؤرخ وفلكي . وبراعته في الفلك غالبة . وفي تاريخه يتعرض لأمور فلكية . ومن مؤلفاته :

١) تاج المداخل . من أجل الآثار في الهيأة . نقل به الى اللغة العربية تاج المداخل للحكيم الفاضل ابي جعفر محمد بن عبد الله الشريفي . وأصله باللغة الايرانية قدمه الى السپهسالار تاج الدين المعتز بن محيي الدين طاهر الخوارزمي من أمراء الدولة السلجوقية ببلاد الروم . وابنه أمير شاه كتب له قطب الدين الشيرازي كتابه المسمى بالتحفة الشاهية . والكتابان ثروة علمية . والغياثي نقله الى العربية باسمه الأصلي . وبهذا حصل الاتصال العلمي فقد نقلت الأزياج الفارسية مثل زيج أولوغ بك وغيره مما روعي فيه تجدد العلم . فتجددت مباحث علم الفلك . والغياثي متصل بالتنجيم والطالع ومطالب القرانات . فهو عالم بالاختيارات . أخذ عن علماء الشام . وكتب كتابه هذا بخطه ومعه (مختصر نزهة النظر) في مجموعة في خزانة الآثار القديمة ببغداد . وتوفي بعد التسعمائة من الهجرة .

٥ — الدولة الصفوية في العراق

من سنة ٩١٤ هـ — ١٥٠٢ م الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م

هذا العهد كان عهد حروب ومناضلات ، فما كان للعلوم حظ من العناية . ولا شك أنها سارت سيرتها الطبيعية في المدارس ، وفي الرغبة العلمية . ومن علماء هذا العهد (البرجندي) و (مير ابو الفتح) ويأتي الكلام عليهما .

العلاقات بالأقطار الاسلامية

هذه العلاقات قديمة ترجع الى أوائل اتصال الاسلام بالشعوب ثم لم تنقطع . وانما تأثرت بنا . والعلاقات في الفلك والرياضيات قديمة . وزاد الاتصال بسبب الفتح المغولي . ويعسر احصاء هذه الصلات . وما عرف يشير الى ما وراءه .

١ — العلاقات بايران

وهذه من أقوى العلاقات . كتبوا علومهم بلغتنا . وقلما كتبوا باللغة الايرانية لشدة الارتباط والمجاورة والاختلاط أحياناً . دام الى عهد المغول واستمر الى ما بعده . والعلوم الفلكية هذا شأنها . وفي نهضتها أيام المغول عند بناء الرصد استعانت بالثقافة العربية وبرجالها . والاسماعيلية في ايران اكثر اشتغالاً بالفلك لصلته بمذهبهم . ومن أبرز علمائهم الخواجة الطوسي . وحصل الانتفاع بما غنم المغول منهم من آلات فلكية . ويهمنا الآن ذكر العلاقات الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م . ومن علمائهم :

١ — الأبهري : هو أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري . وآثاره متداولة . ومن مؤلفاته الفلكية :

١) المجسطي في الهيأة . وهو من الكتب المختصرة .

٢) ثلاث رسائل في علم الفلك .

٣) الزيج المتقن . ألفه على مقتضى أوساط صححها ابو الوفاء محمد بن أحمد البوزجاني بعد الرصد المأموني . وأصلح الزيج العلائي .

توفي سنة ٦٦٢ هـ . ومنهم من قال غير ذلك .

٢ — الشربفي : هو ابو جعفر محمد بن عبد الله الشربفي وله من المؤلفات :

١) تاج المداخل . فارسي . نقله الى العربية الغياثي . ولم أعرف مكان النسخة الأصلية . والترجمة العربية في خزانة متحف الآثار القديمة . ببغداد .

قدّم المؤلف كتابه الى أحد أمراء السلجوقيين في بلاد الروم · وهو تاج الدين السپهسالار المعتز بن طاهر كما أن القطب الشيرازي قدم الى ابنه امير شاه محمد كتابه (التحفة الشاهية) · وكان تاج الدين أميراً أيام سليمان شاه البروانة ·

٢) شرح التذكرة للخواجة الطوسي نقل منها الخفري في شرحه لتذكرة الخواجة ·

٣ — الكاتبي القزويني : من العلماء الأفاضل في الفلك والحكمة · وكان ممن اشترك في رصد مراغة · وتوفي سنة ٦٧٥ هـ — ١٢٧٦ م · ولم نقف له على تأليف في الفلك ·

٤ — قطب الدين الشيرازي : من أكابر العلماء لا سيما في الفلك وما يتعلق به · وكانت شهرته عالية · ومن مؤلفاته :

١) نهاية الادراك أو ادراك الأفلاك · قدمه الى شمس الدين محمد الجويني · وعليه حاشية لسنان باشا · ومنه نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد من خزانة السيد نعمان خير الدين الآلوسي · كتبت سنة ٧٦٦ هـ ·

٢) التحفة الشاهية في علم الهيأة · كتبت باللغة العربية · قدمها الى أمير شاه محمد بن تاج الدين المعتز بن طاهر · ومنها نسخة في خزانة مدرسة السپهسالار · وأخرى في خزانة الأوقاف ببغداد · ونسخة منها في برلين ·

٣) الاختيارات المظفرية · فارسي في الهيئة · ألفه لمظفر الدين بولق أرسلان من سلاجقة الروم · كتبه بعد نهاية الادراك ·

٤) الزيج السلطاني · ومنهم من نسبه للوابكيني البخاري · عدّل به الزيج البتاني ·

٥) درة التاج لملك دوباج · كتبه لملك كيلان بالفارسية منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد · وطبع في أيران ·

توفي في شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ — ١٣١١ م ·

٥ — النظام الأعرج : هو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري · وكان من علماء الفلك المعروفين · وله من المؤلفات :

١) الزيج العلائي . فارسي . صححه تلامذته بعد وفاته . ألفه لعلاء الدولة .

٢) تفسير التحرير . فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ هـ .

٣) شرح التذكرة . ويسمى (توضيح التذكرة) .

٤) الشمسية في الحساب .

وتوفي سنة ٧٢٨ هـ على ما هو الأظهر . وليس بصواب ما ذكر في كشف الظنون من انه توفي سنة ٨٢٨ هـ .

٦ — عبد الصمد النجم التبريزي .

٧ — شمس الدين الحاج محمد العصار .

وغالب هؤلاء لم يخل من علاقة بالعراق . وتنتهي بهم الدولة الجلائرية .

وفي أيام الأمير تيمور وأخلافه استخدم علماء ايران . لا سيما في رصد سمرقند أيام أولوغ بك . وهم من ذكروا . وبينهم غياث الدين جمشيد . وأثروا كثيراً في التدوين بالفارسية . ويقال ان (الزيج الخاقاني) قد أثر على زيج أولوغ بك .

وفي أيام التركمان وأوائل الصفويين ظهر :

١ — البرجندي : وهو عبد العلي بن محمد البرجندي . وله من المؤلفات :

١) شرح التذكرة . باللغة العربية .

٢) بيست باب . ألفه سنة ٨٩٣ هـ .

٣) شرح تحرير المجسطي .

٤) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .

٥) حاشية على ملخص الهيأة . شرح قاضي زاده .

وهذه مؤلفات تعليم لم تزد في الثقافة . ولا شك أن هذه العهود قد طرأ عليها توقف في أيام التركمان وأيام الصفويين . لم تتجاوز الوجهة التعليمية .

٢ – العلاقات بالترك في ما وراء النهر

الترك ثقافتهم اسلامية من أوائل اتصالهم بالاسلام. وقد تكلمنا على ماضيهم في أيام المغول والتركمان، ومن اشتهر منهم وبينا بعض مؤلفاتهم. ومنهم العلاء البخاري، والجغميني. ثم ظهر آل تيمور في سمرقند، فتكاثرت المعرفة بالوجه المبين.

٣ – العلاقات بالترك في الأناضول

١ – سلاجقة الروم. وهؤلاء زها علم الفلك في أيامهم في عهد المغول. وظهرت مؤلفات خدمت الثقافة. بذلوا البذل اللائق للحصول عليها. ومكنوا هذا العلم عندهم بما رعوا من علماء وردوا اليهم.

١) تاج المداخل في الهيأة للشربني بالفارسية قدمه لأحد أمراء الأناضول تاج الدين السپهسالار. نقله الى العربية القباني سنة ٨٧٩ هـ – ١٤٧٤ م.

٢) تحرير المجسطي للخواجة الطوسي. قدمه الى حسام الدين بن محمد السيوامي.

٣) التحفة الشاهية. لقطب الدين الشيرازي. قدمه الى ميرشاه محمد بن تاج الدين السپهسالار المذكور.

٤) الاختيارات المظفرية (له) كتبه لمظفر الدين يولق ارسلان المتوفى سنة ٦٩٠ هـ – ١٢٩١ م.

وهذه من صفوة المؤلفات. وتتكون منها ثروة علمية في الهيأة.

٢ – الترك العثمانيون. وهؤلاء جاءتهم الثقافة من سلاجقة الروم فبنوا على أساسها. وظهر فيهم جماعة العلماء ولم يقصروا في رعاية هذا العلم. ويقال لهم (علماء الروم). وبعد فتح استنبول رعوا العلم. وتوسعوا في الفلك خاصة لما رأوا من ضرورة السير في البحار وعمل السفن الحربية. ومن مشاهير علمائهم:

١) قاضي زاده. أصله من بلاد الروم. استخدم لرصد سمرقند. مر الكلام عليه.

٢) علي القوشجي . وهذا أيضاً من علماء الروم عمل في مرصد سمرقند أيضاً . سبق أن ذكرناه .

٣) افه زاده . هو محمد بن سليمان . وله شرح بيست باب في الاسطرلاب للخواجة الطوسي .

٤) ميرم چلبي . هو الملا محمود بن محمد قاضي زاده . ابن بنت القوشجي . وكان قد عمل في رصد مراغة . وله من المؤلفات :

١ — دستور العمل وتصحيح الجدول . شرح به زيج أولوغ بك .

٢ — رسالة في ربع المقنطرات .

٣ — رسالة في الربع المجيب

٤ — رسالة في الحساب .

٥ — رسالة في سمت القبلة . وذكرها كاتب چلبي مرتين .

٦ — شرح الفتحية للقوشجي

٧ — رسالة في الربع الشكازي .

٨ — رسالة في العمل به .

٩ — رسالة الزرقالة (فارسية) أخذها من عرب الأندلس .

١٠ — رسالة في الربع الجامع . وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ .

٥) المولى عطاء الله العجمي . له رسالة في الربع المجيب . وعليها شرح أخوين المولى محيي الدين محمد بن القاسم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠هـ .

٦) محمد بن سنان الكاتب القنوي . وله تحفة الفقراء في علم الميقات .

هؤلاء عرفوا في بلاد الروم . وبعد الاتصال بالأقطار العربية عظمت النهضة ولهذا البحث محله .

(يتبع) عباس العزاوي

أقدم تأليف في الحديث النبوي

صحيفة همّام بن مُنبِّه ومكانتها في تأريخ علم الحديث

— ٢ —

صحيفة همّام بن مُنَبِّه

المولود سنة ٤٠ (؟) ، والمتوفى سنة ١٣١ أو ١٣٢ للهجرة ؛
تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه المتوفى سنة ٥٨ من الهجرة

مخطوطة دمشق

ورقة الأصل الدمشقي (١ ب)

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم
الحمد لله رب العالمين . والصلوة على
رسوله محمد وآله أجمعين .

حدثنا الشيخ الإمام الأجل الأوحد
الحافظ تاج الدين بهاء الاسلام بديع
الزمان ابوعبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن
مسعود المسعودي البندهي وفقه الله
وبصّره بعيوب نفسه بقراءته علينا
من أصل سماعه المنقول منه في المدرسة
الناصرية الصلاحية خلد الله مُلك واقفها

في السادس والعشرين من ذي القعدة
سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، قال :
أخبرنا الشيخ الثقة الصالح
أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمر
المقدر الإصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع ،
قال :
أخبرنا[1] الشيخ أبو عمرو عبد الوهاب بن
أبي عبدالله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن
منده الإصبهاني ، قال :
أخبرنا والدي الإمام أبو عبد الله
محمد بن إسحق ، قال :
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن
الحسن بن الخليل القطّان ، قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن
يوسف السُّلمي ، قال :
حدثنا عبد الرزاق بن هَمّام بن
نافع الحميري ،
عن مَعْمَر ،
عن هَمّام بن مُنَبِّه ، قال :
هذا ما حدَّثنا أبو هريرة ،
عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال :

(١) من هنا يبدأ سند النسخة البرلينية بعد البسملة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم . فهذا يومهم الذي فرض عليهم . فاختلفوا فيه . فهدانا الله له . فهم لنا فيه تبع ؛ فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد .

٢ — وقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً ، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لَبِنة من زاوية من زواياها . فجعل الناس يطوفون ، ويعجبهم البنيان . فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة ، فتمّ بناؤه ؟ فقال محمد ﷺ : فأنا اللبنة .

٣ — وقال رسول الله ﷺ : مثل البخيل والمتصدق (٢ آ) كمثل رجلين ، عليهما جبّتان — أو جُنّتان — من حديد الى ثدييهما ، أو إلى تراقيهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بشيء ، ذهبت عن جلده حتى تجن بنانه ويعفو أثره . وجعل البخيل كلما أنفق شيئاً ، أو حدّث به نفسه ، عضّت كل حلقة مكانها ، فيوسّعها ولا تتسع .

٤ — وقال رسول الله ﷺ : مثلي كمثل رجل استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفَراش وهذه الدواب التي يقعن في النار ، يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ، ويغلبنه ، فيتقحمن فيها . فذاك مثلي ومثلكم : أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلمّ عن النار ، هلمّ عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها .

٥ — وقال رسول الله ﷺ : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها .

٦ — وقال رسول الله ﷺ إياكم والظن ، إياكم والظن ، إياكم والظن ! فان الظن أكذب الحديث ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

(٣) بهامش الدمشقية : سقط من أصل السماع كلمة « بنانه » .
(٥) لا يذكر هذا الحديث في رواية ابن حنبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ — وقال رسول الله ﷺ : في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه .

٨ — وقال رسول الله ﷺ : الملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؛ ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم بهم ؛ كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون .

٩ — وقال رسول الله ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، وتقول : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » ، ما لم يُحدث .

١٠ — وقال رسول الله ﷺ : إذا قال أحدكم آمين ، والملائكة في السماء [آمين] فوافق احداهما الاخرى ، غُفر له ما تقدم من ذنبه .

١١ — وقال أبو هريرة : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، فقال له رسول الله ﷺ : اركبها . فقال : إنها بدنة ، يا رسول الله . فقال : ويلك ، اركبها ؛ ويلك اركبها .

١٢ — (٢ ب) وقال رسول الله ﷺ نارکم هذه ، ما يوقِد بنو آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم . فقالوا : والله ، ان كانت لكافيتنا يا رسول الله . قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها .

١٣ — وقال رسول الله ﷺ : لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فوق العرش ، « إن رحمتي غلبت غضبي » .

١٤ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً .

---

(١٢) في المخطوطتين : « بنو آدم » .
(١٤) وهو بين ١٤ و ١٥ . زاد ابن حنبل هنا حديثاً لا يوجد في المخطوطتين وهو : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » .

١٥ — وقال رسول الله ﷺ : الصيام جُنَّة . فاذا كان أحدكم يوماً صائماً ، فلا يجهل ، ولا يرفث . فان امرؤ قاتله ، أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم .

١٦ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ يذر شهوته وطعامه وشرابه من جراي ؛ فالصيام لي ، وأنا أجزي به .

١٧ — وقال رسول الله ﷺ : نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة . فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ؛ فأمر بها فأحرقت في النار . فأوحى [الله] اليه : فهلاّ نملة واحدة ؟ !

١٨ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لولا أن أشقّ على المؤمنين ، ما قعدتُ خلف سرية تغزو في سبيل الله . ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي .

١٩ — وقال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة تستجاب له . فأريد ، ان شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

٢٠ — وقال رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن لم يحب لقاء الله ، لم يحب الله لقاءه .

٢١ — وقال رسول الله ﷺ : (٣ آ) من أطاعني ، فقد أطاع الله ؛ ومن يعصني ، فقد عصى الله ؛ ومن يطع الأمير ، فقد أطاعني ؛ ومن يعص الأمير ، فقد عصاني .

٢٢ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ، حتى يهمّ رب المال من يتقبل منه صدقته . قال : ويُقبَض العلم ،

(١٩) بهامش الدمشقية : « خ أدخر » . وفي البرلينية : « ادخر » في المتن ، وفي « اوخر » بالهامش .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقترب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج . قالوا : الهرج ، ما هو ، يارسول الله ؟ قال : القتل ، القتل .

٢٣ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة .

٢٤ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله .

٢٥ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فاذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون . وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

٢٦ — وقال رسول الله ﷺ : اذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان ، له ضراط ، حتى لا يسمع التأذين . فاذا قُضي التأذين أقبل ؛ حتى اذا ثُوِّب بها أدبر ؛ حتى اذا قُضي التثويب ، أقبل يخطر بين المرء ونفسه ، ويقول له : «اذكر كذا ، اذكر كذا» لما لم يكن يذكر من قبل ؛ حتى يظلّ الرجل إن يدري كيف صلى .

٢٧ — وقال رسول الله ﷺ : يمين الله ملأى ، لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ؟ فانه لم ينقص مما في يمينه . قال : وعرشه على الماء . وبيده الأخرى القبض ، يرفع ويخفض .

٢٨ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ليأتينّ على احدكم يوم لا يراني ، ثم لأن يراني أحبّ اليه من مثل أهله وماله معهم .

٢٩ — وقال رسول الله ﷺ : يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده ، وقيصر ليهلكنّ ، ثم لا يكون قيصر بعده ؛ ولتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله . وسمى الحربَ «خدعةً» .

٣٠ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قال : أعددت (٣ ب) لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٣١ — وقال رسول الله ﷺ : ذروني ما تركتكم . فانما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .

٣٢ — وقال رسول الله ﷺ : إذا نودي للصلاة ، صلاة الصبح ، وأحدكم جنب ، فلا يصوم يومئذ .

٣٣ — وقال رسول الله ﷺ : لله تسعة وتسعون اسماً ، مائة الا واحداً . من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر ، يحب الوتر .

٣٤ — وقال رسول الله ﷺ : اذا نظر أحدكم الى من هو فُضّل عليه في المال والخَلْق ، فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه .

٣٥ — وقال رسول الله ﷺ : طهور إناء أحدكم ، اذا ولغ الكلب فيه ، فليغسله سبع مرات .

٣٦ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لقد هممتُ أن آمر فتياني أن يستعدّوا لي بحزم من حطب ، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق بيوتاً على من فيها .

٣٧ — وقال رسول الله ﷺ : نصرتُ بالرعب . وأوتيت جوامع الكلم .

٣٨ — وقال رسول الله ﷺ : اذا انقطع شسع نعل أحدكم ، أو شراكه ، فلا يمش في إحداهما بنعل واحدة ، والأخرى حافية : ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً .

---

(٣١) في المخطوطتين بالهامش : « خ تركتم » (أي بدل : تركتكم) . د بالهامش : « خ فائتمروا » .

(٣٥) بهامش البرلينية : « خ طهر » (أي بدل : طهور) .

(٣٧) بهامش الدمشقية : « خ الكلام » (أي بدل : الكلم) .

٣٩ — وقال رسول الله ﷺ : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء، لم أكن قد قدرته ، ولكن يلقه النذر وقد قدرته له ، استخرج به من البخيل ويؤتيني عليه ما لم يكن آتاني من قبل .

٤٠ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله قال : « أنفق أنفق عليك » . وسمى الحرب « خدعة » .

٤١ — وقال رسول الله ﷺ : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق . فقال له عيسى : [سرقت ؟ فقال : كلا ، والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنتُ بالله وكذّبتُ عيني .

٤٢ — وقال رسول الله ﷺ : ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه . إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرتُ .

٤٣ — وقال رسول الله ﷺ : (٤١) إنما الإمام ليؤتم به . فلا تختلفوا عليه . فإذا كبّر ، فكبّروا ؛ وإذا ركع ، فاركعوا ؛ وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : « اللهم ربنا لك الحمد » ؛ فإذا سجد ، فاسجدوا . وإذا صلى جالساً ، فصلوا جلوساً أجمعين .

٤٤ — وقال رسول الله ﷺ : أقيموا الصفّ في الصلاة . فإن إقامة الصف من حسن الصلاة .

٤٥ — وقال رسول الله ﷺ : تحاجّ آدم وموسى . فقال له موسى أنت آدم الذي أغويتَ الناس فأخرجتهم من الجنة الى الأرض ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال : نعم . قال : أتلومني على أمر قد كُتب عليّ أن أفعل من قبل أن أُخلَق ؟ فحجّ آدم موسى .

---

(٤١) ضاع ورقة في ب . و « [» علامة ابتداء السقطة .

٤٦ — وقال رسول الله ﷺ : بينا أيوب يغتسل عرياناً ، خرَّ عليه رجل جراد من ذهب . فجعل أيوب يحثي في ثوبه . قال : فناداه ربه : يا أيوب : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى بي عن بركتك .

٤٧ — وقال رسول الله ﷺ : خفف على داود القرآن . فكان يأمر بدوابه تسرج . فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته . وكان لا يأكل إلا من عمل يديه .

٤٨ — وقال رسول الله ﷺ : رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

٤٩ — وقال رسول الله ﷺ : يسلّم الصغير على الكبير ، والمارّ على القاعد ، والقليل على الكثير .

٥٠ — وقال رسول الله ﷺ : لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . فاذا قالوا لا اله الا الله ، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥١ — وقال رسول الله ﷺ : تحاجّت الجنة والنار . وقالت النار : أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرّتهم . فقال الله للجنة : إنما أنتِ رحمتي ، أرحمُ بكِ من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي : أُعذِّب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تعالى فيها رجله فتقول : قط قط . فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها الى بعض . ولا يظلم الله من خلقه (٤ ب) أحداً . وأما الجنة فان الله عزّ وجل ينشئ لها خلقاً .

٥٢ — وقال رسول الله ﷺ : إذا استجمر أحدكم فليوتر .

٥٣ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : اذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ، ما لم يعملها ؛ فاذا عملها فأنا أكتبها له

بعشر أمثالها . واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ؛ فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها .

٥٤ — وقال رسول الله ﷺ : والله ، لقيد سوط أحدكم من الجنة خير له مما بين السماء والأرض .

٥٥ — وقال رسول الله ﷺ : ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة ان هي له أن يقال له : تمنّ . فيتمنى ويتمنى . فيقال له : هل تمنيت ؟] فيقول : نعم . فيقول له : فإن لك ما تمنيت ومثله معه .

٥٦ — وقال رسول الله ﷺ : لولا الهجرة ، لكنت امرءاً من الأنصار . ولو يندفع الناس في شعبة ، أو في وادٍ ، والأنصار في شعبة ، لاندفعتُ مع الأنصار في شعبهم .

٥٧ — وقال رسول الله ﷺ : لولا بنو اسرائيل ، لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم . ولولا حواء ، لم تخن أنثى زوجها الدهر .

٥٨ — وقال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته : طوله ستون ذراعاً . فلما خلقه ، قال : « اذهب فسلّم على أولئك النفر » — وهم نفر من الملائكة جلوس — « فاستمع ما يحيّونك . فانها تحيتك وتحية ذريتك » . قال : فذهب ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوا « ورحمة الله » . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم : طوله ستون ذراعاً . فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن .

٥٩ — وقال رسول الله ﷺ : جاء ملك الموت الى موسى ، فقال له :

---

(٥٠) « [» علامة انتهاء السقطة في ب .

(٥٧) في المخطوطتين : « بنوا اسرائيل »

(٥٨) بهامش البرلينية : « خ معا : يحييونك » (اي بدل : يحيونك) . وفيه أيضاً « خ معا فزادوه » (اي بدل : فزادوا) .

أجبْ ربك . قال : فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقأها . قال : فرجع الملك الى الله عز وجل ، فقال : إنك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت ؟ وقد فقأ عيني . قال : (٥آ) فردَّ الله اليه عينه ؛ قال : ارجعْ الى عبدي فقل له : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة ، فضعْ يدك على متن ثور ؟ فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . قال : ربِّ ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر . وقال رسول الله ﷺ : لو أني عنده ، لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر .

٦٠ — وقال رسول الله ﷺ : كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض ، وكان موسى يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر . قال : فذهب مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففرَّ الحجر بثوبه . قال : فجمح موسى في أثره ، يقول : «ثوبي ، حجر ؛ ثوبي ، حجر !» حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى ، فقالوا : والله ، ما بموسى من بأس . قال : فقام الحجر بعد ما نُظر اليه ، فأخذ ثوبه ، وطفق بالحجر ضرباً . فقال أبو هريرة : والله ، إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر .

٦١ — وقال رسول الله ﷺ : ليس الغنى من كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس .

٦٢ — وقال رسول الله ﷺ : إن من الظلم مطل الغني . وإن اتبع أحدكم على مليء فليتبع .

٦٣ — وقال رسول الله ﷺ : أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك ، لا ملِك الا الله عز وجل .

---

(٦٠) في المخطوطتين : « بنوا اسرائيل » .

٦٤ — وقال رسول الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في بُردين وقد أعجبته نفسه ، خسف به الأرض . فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة .

٦٥ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي .

٦٦ — وقال رسول الله ﷺ : من يولد ، يولد على هذه الفطرة . فأبواه يهوّدانه وينصرانه . كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ؟ قالوا : (٥ ب) يا رسول الله ، أفرأيت من يموت ، وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

٦٧ — وقال رسول الله ﷺ : إن في الانسان عظماً ، لا تأكله الأرض أبداً . فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أي عظم ؟ قال : عجم الذنب . وقال أبو الحسن : إنما هو « عجب » ، ولكنه قال بالميم .

٦٨ — وقال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال ، إياكم والوصال ، قالوا : فانك تواصل يا رسول الله . قال : اني لست في ذلكم مثلكم : اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ؛ فاكفلوا من العمل مالكم به طاقة .

٦٩ — وقال رسول الله ﷺ : اذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على الوضوء حتى يغسلها . إنه لا يدري أحدكم أين باتت يده .

٧٠ — وقال رسول الله ﷺ : كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس . قال : تعدل بين الاثنين ، صدقة . وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه ، صدقة . والكلمة الطيبة ، صدقة . وكل خطوة تمشيها الى الصلاة ، صدقة . وتميط الأذى عن الطريق ، صدقة .

(يتبع) الدكتور محمد حميد الله

التعريف والنقد

اللغة العربية

أصولها النفسية وطرق تدريسها

تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (دار المعارف بمصر)

هذا الكتاب انما هو خلاصة تجارب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد وقراءته ومباحثه ودراساته في ميدان تدريس اللغة خلال اثني عشر عاماً .

أصبح التدريس علماً وفناً بعد أن كان فناً على نحو ما أشار اليه المؤلف في المقدمة وأصبحت له قواعد علمية كشف عنها علم النفس وقد ذكر المؤلف هذه القواعد في مؤلفه على قدر ما وصل اليه العلماء في مباحثهم وتجاربهم وأضاف الى هذا كله نتائج تجاربه الخاصة في تدريس اللغة العربية على اختلاف مراحل هذا التدريس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد يطول الكلام عن الموضوعات التي خاض فيها صاحب الكتاب وأكثرها حديث لم تشر اليه كتب اللغة في قديم عصورنا وانما هو من مستحدثات هذا العصر وقد استشهد المؤلف بآراء كثير من العلماء في تعريف اللغة وفي الصلة بينها وبين الفكر وفي المراكز العصبية للغة وغير ذلك من الموضوعات الدقيقة ولئن اهتمّ علماء اللغة بمعرفة تكوين اللغات وما لتركيب الأعضاء وعلم النفس والاجتماع من أثر في هذا التكوين فانما تهتم معاشر الأدباء باللغة من حيث أنها أداة تنقل بها الى الناس فكرنا وشعورنا وحسنا وذوقنا وينقل الناس بها الينا هذه الأمور كلها وعلى ما به فلا بدّ لنا في مثل هذا الاهتمام من معرفة أصول تدريس هذه اللغة والاهتداء الى ذوق محاسنها والأستاذ المؤلف مارس

هذا التدريس وتدل على براعته في هذه الممارسة نظراته الثاقبة في تدريس البلاغة أو في فهم الشعر ومن هذه النظرات اشارته المختصرة الى أبيات البحتري المشهورة في وصف الربيع فبعض أساتذة الأدب اذا بلغوا الى هذه الأبيات وامثالها اقتصروا على شرح ألفاظها ومشتقاتها وعرضوها عرضاً جامداً لا حياة فيه فذهبوا بنضرتها وروعتها وقضوا على محاسنها لأنهم لم يدركوا حقيقة أصوات الطبيعة فيها وحركاتها وإشاراتها وألوانها ومن نظراته الثاقبة اشارته الى بعض أبيات المعري وارشاده الى أسلوب تدريس هذه الأبيات .

أجل ! انا لا تهتم معاشر الأدباء بفهم اللغة من ناحية الأعضاء أو علم النفس والاجتماع بقدر اهتمامنا بهذا الفهم من ناحية التدريس فقد يمرُّ بنا في خلال التدريس لفظ محسوس يكاد يكون صورة ناطقة بنفسه أو قد يمرُّ بنا لفظ شديد التناسب بينه وبين معناه فهمتنا في التدريس الاشارة الى هذا اللفظ واستخراجه من مدفنه وعرضه على الأذهان حتى تشعر بمحاسنه وحتى تذوق هذه المحاسن فاذا لم نفهم حسن الألفاظ حق الفهم فقد نخفق في نقل أفكارنا وشعورنا الى الناس وما يقال في مفردات اللغة يقال في الجمل فالبلاغة لا تدرَّس مجردة والتعريفات الجامدة لا قيمة لها وانما البلاغة تدرَّس في قطعة من القطع الأدبية فالأستاذ الذي يفسر نصاً أدبياً يشير الى ما اشتمل عليه هذا النص من وجوه البلاغة وعلى هذا الشكل يكون ادراك الطالب للبلاغة ولسرّ الألفاظ والجمل أتمّ .

هذا كله أشار اليه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد في كتابه وهذا هو الذي يهمنا معاشر الأدباء من كتابه الحديث في آرائه ومذاهبه ، انا في حاجة شديدة الى أساليب حديثة في فهم لغتنا وأدبنا واذا كنا نمرُّ في كثير من الأحيان بقطع أدبية تكاد تكون آية في البلاغة وحسن التنسيق فقد نمرُّ في بعض الأحيان بفصول كاملة تكاد تكون فوضى ولا سيما فصول التراجم

فقد يشير المؤلف الى وفاة الرجل قبل الاشارة الى ميلاده ويذكر مؤلفاته قبل ذكر ثقافته وأساتذته وينقد طائفة من هذه المؤلفات قبل الاشارة اليها وهذا كله يؤثر في تفكيرنا أسوأ تأثير ويجعل هذا التفكير فوضى لا نظام له ، نبدأ من حيث يجب أن ننتهي ، وننتهي من حيث يجب أن نبدأ .

فاذا كان فضل الدكتور عبد العزيز عبد المجيد عظيماً في تعريفنا باللغة من حيث صلتها بتركيب الأعضاء أو بعلم النفس أو بالاجتماع فان فضله أعظم من حيث ارشادنا الى تدريس اللغة والأدب على أحدث الأساليب .

طبقات فحول الشعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحي

شرحه محمود محمد شاكر (دار المعارف للطباعة والنشر)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدَّر الأستاذ محمود محمد شاكر كتاب طبقات فحول الشعراء بمقدمة بسط فيها أول عهده بهذا الكتاب وبيّن كيف عثر على نسخته المخطوطة وأشار الى طبع كتاب طبقات الشعراء لأول مرّة ووضح الاختلاف بين نسخته التي ظفر بها وبين النسخ المطبوعة ثم دوّن ترجمة راوية الكتاب أبي خليفة الجمحي وهو ابن اخت محمد بن سلام صاحب الطبقات كما دون ترجمة ابن سلام نفسه وردّ على المستشرق الألماني يوسف هيل . وجمع من كتاب الأغاني لأبي الفرج كل ما وقف عليه مما فيه ذكر ابن سلام وتولى شرح الديوان وخالف في بعض شرحه بعض ما ذهب اليه الأئمة .

من هذه المخالفات ما جاء في شرح أبيات الفرزدق المشهورة :

ورَكب كأن الريح تطلب عندهم لها ثِرةً من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهي تلفهم الى شعب الأكوار ذات الحقائب

قال الأستاذ في الشرح : وأجود الروايات : يخبطون الليل ويركبون الليل ...
فلو قال : وفي رواية : يخبطون الليل أو يركبون الليل ... لما كان لنا اعتراض ،
أما أن يقول : وأجود الروايات ... فهذا كلام قد يكون لنا رأي فيه فان
كلمة الريح في بيت الفرزدق تكاد تكون صورة شعرية ناطقة بسبب هذه المناسبة
الشديدة بين السرعة وبين الريح ، فضلاً عن أن العصر الذي نعيش فيه انما
هو عصر الطيارات ، فاذا أحببنا أن نقول الشعر في طيار من الطيارين أفترى
أصلح من قولنا : يا راكب الريح ! على أن المسألة مسألة ذوق في اختيار الألفاظ
ولا جدال في الأذواق .

واذا أحببت أن أجمل خصائص مقدمة الاستاذ محمود محمد شاكر وخصائص
شرحه فاني لا أرى مندوحةً عن الاعتراف بظهور آثار التحقيق والتدقيق على
هذه المقدمة وهذا الشرح ، دع أن الأستاذ منصف كل المنصف فقد رغب
الى كل من يعنُّ له رأي في شيء مما ذكره وأشار اليه أو في نقد لما قاله أو فعله
أن يرسل اليه هذا الرأي وهذا النقد .

أما كتاب طبقات فحول الشعراء فقد فصّل فيه الجمحي الشعراء من أهل
الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزّلهم منازل واحتجَّ لكل شاعر بما وجد له من
حجة وما قال فيه العلماء ومضى له قول في الشعر واختلاف العلماء فيه وفي صناعته
وثقافته وذكر أول من تكلم بالعربية وأول من استنّها وفتح بابها وأنهج سبيلها
ووضع قياسها وهو أبو الأسود الدؤلي وذكر من جاء بعده ثم رجع الى الكلام
على الشعر في الجاهلية والاسلام وعلى ذهابه وسقوطه ثم ذكر بعض ما روي من
قديم الشعر وأشار الى بعض الزيادات التي زادها الرواة والى بعض التوليدات
التي ولّدوها .

اذا كنا نطالع كتاب طبقات فحول الشعراء ليكون لنا رأي في طبقة

كل شاعر في الشعر فهذا أمر غير يسير ، فمن كلام يونس بن حبيب : ماذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، معنى هذا أن الأذواق تختلف اختلافاً عظيماً في تقدير نتاج الخواطر وثمرات القرائح ومهما نشأ أن نضع قواعد عامة في النقد فقد تكون قاعدة هذا الاختلاف أعمّ القواعد لأن لكل ناقد رأياً خاصاً وذوقاً خاصاً وشعوراً خاصاً ومن الصعب أن نجد اجماعاً في أمور الفن يشبه الإجماع في أمور العلم .

أما اذا كنا نطالع كتاب الجمحي لنرى فيه اثراً من آثار الشعور والعاطفة والوصف في شعر بعض أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فقد نظفر من هذا كله بأشياء كثيرة حتى اذا أراد ناقد الشعر على مختلف أزمانه وأطواره أن يقابل ويوازن ويقايس فانه يرى مجال هذه المقابلات والموازنات والمقايسات ذا سعة وكذلك اذا أراد عالم اللغة أن يشهد حياة الألفاظ التي تعيش في عصر من العصور ثم تموت في عصر آخر فانه يشهد من هذا الشكل أموراً غريبة تدل على أن الألفاظ تولد فتعيش وتموت على نحو المخلوقات الحية .

شفيق جبري

تصحيح خطأ مطبعي

وقع خطأ في الصفحة (٢٤) من مقال : « تعريب الاصطلاحات العلمية » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

« مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً » وصوابه « مع تبديل معناه وتحديده تحديداً جديداً » .

وجاء في الصفحة ٢٧ من المقال نفسه «Hipothèse» وصوابه «Hypothése» .

تهذيب الصحاح

معجم (الصحاح) للجوهري أشهر معاجم اللغة وأوثق مصادرها ٠ ولفظ الصحاح يجوز فيه كسر الصاد جمعاً لصحيح وفتحها وصفاً مفرداً بمعنى الصحيح ٠ وانما سمي به لأن مؤلفه رحمه الله توخى أن يدوّن فيه ما ثبتت عنده صحة استعماله في كلام العرب ٠ ولا سيما الذين سكنوا ديار مُضَر منهم ٠ ووقع في (الصحاح) هنات : من مثل تكرر الكلام في شرح بعض المواد اللغوية واستطرادات قليلة لا فائدة فيها ووهم في تفسير بعض كلمات اللغة ـ كل ذلك حمل الفضلاء والغُيُر على اللغة العربية وعلى مصدر يعتبر في طليعة مصادرها ـ حملهم على العناية بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً واستدراكاً ٠ ومن جملة خدمتهم له تهذيبه بحذف ما لا يعلق بمصلحة الطالب المستفيد ٠ وأشهر تهاذيبه وأقدمها نشراً وطبعاً كتاب (مختار الصحاح) ٠ ومن أمتعها فائدة وأجزلها عائدة (تهذيب الصحاح) تأليف (محمود بن احمد الزنجاني) الذي استشهد في فتنة التتار ببغداد سنة ٦٥٦ ه وقد وجدت مخطوطة من هذا الكتاب نادرة في خزانة كتب الاستاذ الشيخ محمد سرور الصبان فأحب نشرها بالطبع ليرتوي النشء من منهلها العذب ٠ ويجتنوا من أدواحها الثمر الرطب ٠ فعهد بذلك الى أستاذين فاضلين من أشهر رجال الثقافة اللغوية العربية وأنشطهم في نبش آثارها والكشف عن أسرارها : أحدهما حجازي وهو احمد عبد الغفور عطار والآخر مصري وهو عبد السلام محمد هارون ٠ فقاما بهذه المهمة خير قيام ٠ وأحكموا صنعها أحسن إحكام ٠ وطبع الكتاب في (دار المعارف) مُهدى الى صاحب الجلالة (عبد العزيز آل سعود) ومزيناً برسمه الكريم ومفتتحاً بثلاث مقدمات بقلم صاحب النسخة ومحققيها الفاضلين ومفرغاً بثلاثة أجزاء أوثلاثةأقسام بلغ عدد صفحاتها أكثر من ألف ومئة صفحة ٠ وقد طبع مع القسم الثالث ملاحق وفهارس تصلح أن تكون جزءاً قائماً بنفسه ٠ والمهم من ذلك كله التعليقات التي

ضعت في ذيل الصفحات شرحاً وبياناً لموضع الحاجة في الكتاب وهي التي جعلت الكتاب أجزاء فخمة ولو اقتصر فيه على ما قاله المؤلف الزنجاني وانتقاه وهذّبه لما تخطى أن يكون الكتاب جزءاً لطيف الحجم كمختار الصحاح مثلاً . فيكون ناشرو الكتاب تجاوزوا غرض المؤلف وعادوا على موضوعه بالنقض : هو أراد أن يخفف مؤنة اللغة على طالبيها فيكون (الصحاح) كتاباً خفيف الحمل قريب التناول والناشرون أبى حرصهم على العلم ونشر فوائده الا أن يجعلوا من الكتاب بحراً خضماً .

هذه بادرة أو خاطرة عابرة ـ كما يقولون ـ والا فقلما يحظى محب اللغة والحريص على شواردها وفوائدها بمثل هذا الكتاب جمعاً وتحقيقاً وحسن ايراد ولطيف مأخذ . والكلام على ما ألف في اللغة من كتب ومعاجم والمقارنة بينها ومنزلة (الصحاح) منها وتهاذيبه والموازنة بينها والمؤلف وشيء من سيرته وسائر ما له علاقة بالتعريف بهذا الكتاب ـ كل ذلك أتى عليه الأستاذ (احمد عبد الغفور العطار) في مقدمة الثالثة للكتاب . والنفس تنازعني أن أنقل بعض التعليقات على ذلك الكتاب لكن رأيت أن الأمر يطول وأن الأجدر بي أن أنقل اليه بعض ما كتبه (الأستاذ العطار) في مقدمته للتعريف بهذا الكتاب :

قال : ان نسخة تهذيب الصحاح هي نسخة فريدة نادرة في خزائن العالم جميعاً ، كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري ، وليس على النسخة اسم الكتاب ولا مؤلفه ، ولم نجد فيما لدينا من المراجع نصاً صريحاً يدلنا عليه ، وأما اسم مؤلفه فقد اهتدينا اليه بما ورد في مقدمة الكتاب التي نقل بعضها السيد محمد صديق حسن خان بهادر ، ملك مملكة بهوبال في صفحة ١٢٩ من كتابه « البلغة في أصول اللغة » في الفصل الذي عقده عن صحاح الجوهري ، وذكر أنها مقدمة محمود بن احمد الزنجاني للكتاب الذي اختصر فيه كتابه الآخر « ترويح الارواح ، في تهذيب الصحاح » .

وهذا نص «البلغة» : «واختصره محمود بن احمد الزنجاني المتوفى سنة ٠٠٠ قال : لما فرغت من كتاب ترويح الأرواح ، في تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه موقع الخمس من كتابه بتجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، واسقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد أوجزته ايجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر» .

قال : وقد فكرنا في اختيار اسم لهذا الكتاب الذي لم يسم على نسخة الأصل ولا في المراجع التاريخية ، فرأينا أن نقتبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف ، وهو «ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح» فأسميناه «تهذيب الصحاح» .

رحلة «ريچ *Rich*» في العراق

عام ١٨٢٠ م

من يوم أن التحقت البلاد العربية بالدولة العثمانية وأصبحت جزءاً منها (أي منذ أربعمائة سنة) نزلت آية الحجاب عليها : فلم يعد أحد من كتابنا معشر العرب يدون آثارها ويبلو أخبارها . واذا ذكر شيء من وقائعها التاريخية فانما يذكر عرضاً في تضاعيف ما يكتب عن تاريخ العثمانيين ومختلف أخبارهم . وكما أنه لم توضع كتب تاريخ مستقلة لبلادنا كذلك لم يخصها أحد برحلة فيدون في رحلته ما رأى وسمع من تراجم أشخاص أو وصف آثار أو حكاية وقائع وأخبار . كما فعل (الشيخان المغربيان ابن جبير وابن بطوطة في تدوين أخبار رحلتيهما الى الأقطار المشرقية قبيل ظهور الدولة العثمانية) اللهم الا الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي فان رحلاته كشفت عن شيء من حالة البلاد التي زارها منذ ٢٥٠ سنة . ووصفت جانباً من ثقافة سكانها وأطوار حياتهم الاجتماعية . لكنه وصف ممزوج بقليل من التحقيق وبكثير من البحوث الدينية التي قد يلذها قراء زمانه وبمبالغات في تحلية

الأشخاص واطراء الحكام اقتضتها طبيعة ذلك العهد وطريقة أهله في ايراد الحوادث وسرد الوقائع مفرغاً ذلك كله في قالب مسجع ، وأسلوب مسهب متكلف ، ولم نظفر بصورة كاملة عن حياة أسلافنا المتأخرين ومستواهم الاجتماعي والاخلاقي الا في ما كتبه سياح الافرنج في رحلاتهم الى الشرق العربي : فان من علق بشيء مما كتبوه عن بلادنا في تلك الحقبة ظفر بفائدة لا توصف ، وشعر بلذة لا تنسى ، وخاصة ما كان من تلك الرحلات محلى برسوم الأماكن وصور الأشخاص كالرحلة التي أهديت الى مجمعنا أخيراً وهي (رحلة ريج Rich في العراق عام ١٨٢٠) م وريج هذا هو (كلود لويس جيمس) ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم البريطاني في بغداد في أوائل القرن ١٩ كتبها بالانكليزية وطبعتها أرملته سنة ١٨٣٦ أي بعد وفاته ونقلها الى اللغة العربية الأستاذ بهاء الدين نوري أحد فضلاء العراق وطبعت الترجمة في مطبعة السكك الحديدية ببغداد سنة ١٩٥١ م ، والمطبوع من ترجمة الرحلة هو جزؤها الأول وقد ألحق به الفصل ١٢ من الجزء الثاني وستة ملاحق أخرى فبلغت نحو ٣٥٠ صفحة ، والكل يدور الحديث فيه حول وادي دجلة وما عليه من العمران وقديم البنيان ومن فيه من السكان : عرب ، ترك ، ايرانيين ، نسطوريين ، أكراد ، يزيدية ؛ يتخلل ذلك رسوم أثرية وصور أشخاص مختلفي الجنسية : جنديان كرديان ـ زوجان نسطوريان ، زوجان يزيديان ، سيدات كرديات يرقصن ، وغير ذلك من الوقائع والحوادث يقصها (ريج) على قارئ رحلته فيجعله كأنه معه بعينه وأذنه : فيسمع عن (أمجاد الأكراد) و (تخت سليمان) و (الصلاة الشرقية) و (شهر رمضان) و (تقوى محمود باشا) و (مغالطات مضحكة) و (لعبة غريبة) و (اليهود) و (حفلة عرس) والأكراد : نساؤهم ، جنائزهم ، أخلاقهم ، مقارنة بينهم وبين الأتراك والايرانيين الى غير ذلك من شؤون شتى : إدارية وسياسية واقتصادية واثنوغرافية وعلاقات ديبلوماسية بين تركيا وايران .

وهل كان المؤلف (ريج) موضع ثقة في ما قال وسرد من الحوادث والأخبار ؟ سأل المترجم الفاضل المستر لونكريك (مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) عن رأيه في ما دوّنه (ريج) في رحلته هذه فلم يجده ميالاً الى الأخذ بكل ما جاء فيها عن الأكراد . بينما نرى المستر مينورسكي أحد أعلام الدراسات الشرقية يستشهد في بحث له عن (القرآن) بما قاله (ريج) عنهم في رحلته المذكورة .

ذكر المترجم كل هذا في مقدمته للكتاب وارتأى أن لا يؤخذ بما في الرحلة من دون تمحيص : لأن ريج لم يرحل الى العراق لدراستها دراسة مؤرخ محقق بل ما كان الوقت الذي قضاه فيها كافياً للدراسة العميقة لو أرادها . وكل ما أراده الراحة والاستجمام . ومها يكن فان في كثير مما جاء في هذه الرحلة جلاء لكثير من غموض غشّى تاريخ بلاد العراق والأكراد وحالة سكانها .

هذا ملخص ماجاء في مقدمة المترجم الأستاذ بهاء الدين نوري . وقد نُشر بعدها مقدمة لناشرة الكتاب زوجة ريج ، ثم ترجمة مسهبة لريج نفسه ضمنها كثيراً من أطواره ومختلف أخباره ، واليكم نموذجات من الكتاب تصف بعض ما فيه من مفاجآت تاريخية يحرص على مثلها عشاق المطالعة وروّاد الأخبار :

(السليمانية عاصمة بلاد الأكراد منذ مئة وعشر سنوات) تحتوي على الفي دار للمسلمين و (١٣٠) لليهود و (٩) للكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كئيبة . وخمس دور للأرمن وهؤلاء لا كنيسة لهم ولا قسيس . وخمسة خانات . وخمس حمامات بنها واحد جيد وخمسة جوامع منها واحد جيد .

(وصف حمام) : قال (ريج) : ذهبت صباح اليوم الى الحمام فألفيته جميلاً جداً وكانت إضاءته جيدة والخدمة فيه حسنة . ووجدته أرقى من كل حمام شاهدته في المملكة التركية عدا حمامات الشام واستامبول والقاهرة بل ويمتاز على هذه في بعض النواحي . مُلطت جدرانه ببلاط خانقي وصُبغ على الطراز

العربي وزوّق بالأحواض ذات النافورات . شيده باشا السليمانية على نفقته مستخدماً معمارين ايرانيين . يقال انه قلد فيه حمام كرمانشاه . والمسلم يسحق المال بسخاء على الحمام ويعد ذلك نوعاً من التقوى . والجيوش في الحروب لا تتعدى على الحمامات وقد يحميها مالكها بوقفها .

(وصف الصلاة الاسلامية) قال : أُتيحت لي فرصة لرؤية أمر كثيراً ما استرعى انتباهي : ألا وهو أن الصلاة الشرقية ليست الا أمراً نمطياً رتيباً (رُوتِينياً) . ثم وصف (ريج) تهيؤ مضيفه الكردي للصلاة وخشوعه وإصداره الأوامر الى خدمه خلال الصلاة الى أن قال : (وكثيراً ما لاحظت عدم المبالاة من المسلمين اذ يتكلمون أو يتعاتبون أو ينظرون الى ما حولهم وهم ركّع . والواقع ان هذه الصلاة صلاة أسلوبية لا تتغير بل تتردّد وتتكرّر الى حد أن أصبحت تحاكي التمثيل الصامت المضحك) .

كذا قال (ريج) ولعمري ان جهله في وصف صلاتنا مضحك صارخ لاصامت . والا فان الأكراد شوافع وعرفوا من بين المسلمين بالتمسك بالدين . وهل يعقل أن يتكلموا في الصلاة وهم راكعون . ويذكرنا هذا بما نقلناه في المقدمة عن المستر لونكريك من أنه لا يستحسن الأخذ بما قاله (ريج) عن الأكراد . أما قوله عن صلاتنا انها صلاة صموت وانها لا تتغير : بعينها بذلك ، فهو لعمري نعم المدح لها والإعتراف بحسنها ولا يتسع المقام لما يجب أن يقال في هذا الموضوع فان الوهم . وسوء الفهم . ظاهران في كلام المستر (ريج) .

(شهر رمضان) : المسلمون فيه يجعلون ليلهم نهاراً فينامون في النهار ويقضون ساعات الصيام بالاعتكاف وتلاوة القرآن ويكرّسون الليل للأكل واستقبال الزوّار .

(وصف رقص نساء الأكراد) : أطال (ريج) في هذا الوصف وجاء فيه قوله : (ثم بدأت الموسيقى تعزف لحن الدبكة (الجوبى) فتقدم رتل من نحو

ثلاثين امرأة متماسكات الأيدي يخطين وئيدة رشيقة . وهن على أتمّ ما يكون من التزين بالزراكش الذهبية وأثواب الحرير الملوَّنة دون أي حجاب . لقد كان منظراً بديعاً حقاً بل كان أمراً جديداً بالنسبة اليَّ . إذ لم أر حتى الآن النساء في الشرق مختلطات بالرجال بمثل هذه الحرية . ثم وصف اهتزازهن في رقصهن وتقدمهن وتأخرهن (ولم يقمن بأية حركة نابية في رقصهن) قال (ثم انقطعت الموسيقى فانسحبت الراقصات الى بيوتهن بعد أن تحجبن من القمة الى الأخمص) ولاحظ (ريج) على التحجب بعد التبذّل قائلاً: إن الرجال الذين شاهدوا هؤلاء الراقصات في الحفلة كانوا اكثر ممن يحتمل أن يراهن في شوارع السليمانية قال (وأغلبهن جميلات فاتنات) .

(كردية رَجُلَة) : قال : زارني فيض الله أفندي رئيس ديوان باشا بغداد وحينما أراد الانصراف وجاء خدمه بجواده قال لي أريد أن أريك شيئاً طريفاً لم تشاهده في حياتك ونادى خادماً من خدمه وسألني عما اذا كنت ألاحظ شيئاً غير اعتيادي في هذا الخادم . فأجبته بالنفي وانما أرى فتى قوياً . فقال كلا بل فتاة كردية بلباس الفتى (وعلى رأسها شال حريري وهي ذات قامة هيفاء وعمرها بين ٢٥ — ٣٠ سنة ذات ملامح كردية أصيلة وقد لوّحتها الشمس) ثم وصف من أخبار شجاعتها وأنفتها وبكارتها وحسن سلوكها ما يعجب ويطرب .

هذا نموذج مما في الكتاب . وكله على هذا النمط من حيث دقة الوصف وتتبع جزئيات الأخبار والأطوار فالشكر الجزيل لمترجمه ومهذبه .

المغربي

المدخل الفقهي العام

الى الحقوق المدنية في البلاد السورية

تأليف الشيخ مصطفى الزرقاء (طبع الجامعة السورية في ٦٩٥ صفحة)

يعد هذا الكتاب، في نظرنا، خير كتاب في التوطئة لدراسة مجلة الأحكام العدلية ـ القانون المدني العثماني القديم ـ وهو الى ذلك دفاع مجيد عن عظمة الفقه الاسلامي، وقد نقل لنا مؤلفه ثلاثة نصوص دولية خطيرة تشيد بمزايا فقهنا ويسرنا أن نثبتها في هذه المجلة:

القرار الأول: اتخذه مؤتمر الحقوق المقارنة المنعقد بمدينة لاهاي في شهر آب من عام ١٩٣٧ وهو يتضمن ثلاثة مبادئ:

(١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام.

٢ ـ اعتبارها حية قابلة للتطور.

٣ ـ اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته ليس مأخوذاً من غيره).

القرار الثاني: اتخذه مؤتمر المحامين الدولي عام ١٩٤٨ وهذه ترجمته:

«اعترافاً بما في التشريع الاسلامي من مرونة وما له من شأن يجب على جمعية المحامين الدولية أن تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع وبالتشجيع عليها».

القرار الثالث: اتخذه مجمع الحقوق المقارنة الدولي المنعقد في باريز ١٩٥٢ واليك ترجمته:

«ان المؤتمرين، بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء «أسبوع الفقه الاسلامي» وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح:

أ ـ أن مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة لا يمارى فيها.

ب — وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، وهي مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ،

يعلنون رغبتهم في أن يظل (أسبوع الفقه الاسلامي) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر وضع قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أسساً للبحث في الدورة القادمة .

ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه فيكون معلمة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقاً للأساليب الحديثة » .

٠٠ وكأن الأستاذ الزرقا قد استجاب لهذا الأمل ، حين ألف كتاباً في الفقه الإسلامي على الأسلوب الحديث !

بدأ كتابه بتعريف الفقه الاسلامي ، ثم ذكر مصادره الأولى الأربعة الأساسية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ومصادره التبعية : الاستحسان والمصالح المرسلة والعرف ، ثم بحث في أدوار (أو أطوار) الفقه الاسلامي ، فجعلها سبعة ، أولها عصر النبوة ، وآخرها عصر المجلة ـ ولسنا معه في هذا التقسيم ، وإن يكن لعدد (٧) سره وسحره ! ـ ثم دخل في صميم موضوعه ، وهو : « النظريات الفقهية الأساسية » كنظريات الملك والعقد والأهلية والضمان الخ ٠٠ لم ينسج فيها على منوال من سبقوه ، من شراح المجلة ، الذين جعلوا الفقه « فتاوى » و « قضايا » و « جزئيات » ٠٠٠ وإنما حاول أن يدرس المجلة كما يدرس الأساتذة الفرنسيون في كلية الحقوق بباريز مادة القانون المدني ، فجمع من أحكام القرآن والحديث وآراء الفقهاء ، من مختلف المذاهب ، ما يؤلف نظريات عامة تشبه النظريات الأوربية الحديثة ، وقد وفق في محاولته توفيقاً كبيراً ، فمن قرأ

كتابه خرج منه بفائدتين : النظريات الفقهية الجديدة ، وله فضل إخراجها ، وآراء الفقهاء التي لخصت للقارئ فأغنته من قراءة عشرات من كتب الفقه !

وعلى إعجابنا بهذا الكتاب الجليل نشير الى ناحية صغيرة ضعيفة منه كانت بمثابة « الخرزة » الزرقاء .. أو التميمة ... من العين ، وهذه الناحية هي ان الأستاذ الزرقاء لا يتقن لغة أجنبية ، ومن أجل هذا النقص يقول دائماً ان آراء علمائنا خير من آراء الغربيين ، وأنا معه ، فقديمنا أفضل من قديمهم ، ولكن قديمنا ليس دائماً ، أفضل من جديدهم !

هذه ملاحظة ! والملاحظة الثانية هي أن الأستاذ الزرقاء حمل بعض النصوص أكثر مما تستطيع أن تحمل ، في سبيل بناء نظريات عامة تشبه النظريات الغربية ، خذ لك مثلاً احتجاجه بالآية الكريمة : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » لإثبات مبدأ « سلطان الإرادة » وليس في هذه الآية شيء من ذلك ! فمبدأ سلطان الإرادة أعلن تحرر الناس من المراسم والأشكال التي كانت تفقد المتعاقدين ، في ظل الشريعة الرومانية القديمة ، كثيراً من حريتهم وتفسد كثيراً من عقودهم وتعتبرها لغواً لمجرد أنها لم تستكمل بعض « الشكليات » ... فما هي الصلة بين هذا المبدأ وبين الآية الكريمة ؟

إن هاتين الملاحظتين لا تنقصان من قدر كتاب يستحق صاحبه أبلغ الثناء وأعظم التقدير ، وهو كتاب قوي بمادته ، وصاحبه رجل متوقد الذكاء ، جمع بين الثقافتين الدينية والقانونية ؛ قوي بلغته ، فالأستاذ الزرقاء فقيه أديب ، وأسلوبه في الكتابة يكاد ينسيك صعوبة المادة التي يدرسها وجفافها ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافة الغربية

في رعاية الشرق الأوسط

عنوان محاضرة ألقاها في خزانة الكونغرس الأميركية المستشرق جورج سارطون ، ونقلها الى العربية الدكتور عمر فروخ ، في كتيب صدر عن مكتبة المعارف ببيروت ، في نحو ثمانين صفحة .

المحاضرة ، في حقيقتها ، حديث عن الاسلام ، وما كان يجوز أن يختار لها عنوان آخر ، لولا أن المحاضر مهد لها بكلمة قصيرة - ولكنها قوية - عن الشرق ، قرر فيها أن تاريخ العلم بدأ في الشرق الأوسط لا في يونان ، كما يتوهم كثيرون ، وأن فلاسفة يونان أنفسهم أخذوا عن مصر وما بين النهرين الحكمة والمعرفة .

كتبت المحاضرة لجمهور أميركي يجهل أصول الاسلام او يعرفها معرفة يسيرة ، فكان لا بد للمحاضر من أن يذكر لهم أشياء كثيرة يعرفها كل مسلم ولا جديد فيها ، ولكنه ، مع هذا ، لم يخل محاضرته من آراء شخصية في أسباب انتشار الاسلام واللغة العربية ، ومما قاله :

« ... قسم السيوطي الكلمات الدخيلة في القرآن أحد عشر قسماً : الكلمات الحبشية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية والعبرية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية . أما (جفري) فيشير الى ما لا يقل عن خمس وخمسين لغة ولهجة دخل شيء من كلماتها في القرآن الكريم .

.. إن خزائن المفردات في اللغة العربية غنية جداً ويمكن لتلك المفردات أن تزاد بلا نهاية ، ذلك لأن الاشتقاق المتشابك والأنيق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه الانسان .

.. لم يتح لنبي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد . إن الاصرار على تفوق اللغة العربية - خاصة - أو على حاجة الدين اليها هو الذي

جعل لها انتشارها الحاضر ثم حفظ لها هذا التفوق قروناً عديدة ولولا هذا الدفاع الضمني لبقيت اللغة العربية لغة قبلية بلا قيمة عامة ولاضمحلت تماماً ولكان شأن العرب في ذلك شأن نصارى الشرق الأوسط الذين تركوا لغتيهم المقدستين السريانية والقبطية حتى زالتا » .

أما انتشار الاسلام فيرده الحاضر الى ضعف الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية ، وهذا الرأي ـ وهو رأي جمهور المؤرخين تقريبين ـ إنما يفسر في الواقع سرعة الفتوح الاسلامية ، أما انتشار الدين الاسلامي فان له أسباباً أخرى تتصل بجوهره ، ولولاها ما دخل بلاداً لم يدخلها جيش اسلامي قط .

... وأخيراً ، يقول لنا المؤلف :

« .. لم يكن ثمة علم في المدينة أو في مكة أو في دمشق . ومعجزة النهضة العربية لم تكشف عن نفسها قبل تأسيس الخلافة العباسية في بغداد . ولكن ماذا حدث هنالك ؟ لقد نشطت العبقرية العربية بفعل الخميرة الايرانية . إن محاسن الأمتين العربية والفارسية (ومساوئها) كان بعضها يتمم بعضاً . وهكذا نرى أن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر الى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الاسلامي في الفضول والجدل الفارسيين ، أو بكلمة أعم ان العلم العربي كان ثمرة العبقرية السامية التي خمرت بالعبقرية الفارسية » .

هذا الرأي له أشياع كثيرون في الشرق وفي الغرب . وفي اعتقادنا أن الاسلام دعا الى التعلم دعوة قوية ، وأن العلم الكوني بدأ في دمشق ، حين تهيأت للعرب أسبابه ومواده ، ولم يكن العرب محتاجين الى فارس لتكون لهم حضارة ، فقد أسسوا في الأندلس حضارة عظيمة لا نصيب لفارس فيها . القضية قضية وقت . ولو دام ملك دمشق ، لعظمت منتها على العلم والعالم .

الاتجاهات الأدبية

في العالم العربي الحديث

كتاب في نحو (٤٠٠) صفحة ، ألفه الأستاذ أنيس الخوري المقدسي ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وطبعته له جامعة بيروت الأميركية ، في «سلسلة العلوم الشرقية» .

أنفق الأستاذ في تأليف هذا الكتاب جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً ، وقرأ لأجله من الكتب والمجلات والصحف ما لا يكاد يحصى كثرة ، وفي اعتقادنا أنه وفق توفيقاً عظيماً ، ولكن عملاً ضخماً كهذا ، كان ينبغي أن تجتمع عليه عصبة من الرجال ، لا يخلو ، حين ينتدب له رجل واحد ، من هنات معدودات ، فقد كنا ، مثلاً ، نستحب للمؤلف أن يغفل ، في كتابه ، ذكر أسماء كثيرة لم نجد لأصحابها فضلاً ولا فضيلة ـ وإن يكن هو قرأ لهم مقالة أو قصيدة مترجمة في احدى المجلات فوجدها كافية للتنويه بأسمائهم ـ وكنا نستحب له كذلك ألا ينعت بعض المفكرين بأنهم شعراء (كبار) من أجل أبيات نظموها ، وما نظن حتى العلامة فارس الخوري ، يرضيه أن يقرأ في كتاب الأستاذ المقدسي أنه من « كبار الشعراء » !

وبعد .. فإن هذا الكتاب من « أغنى » الكتب التي أخرجتها لنا مطابع بيروت ، وهو يتألف من أربعة أبواب :

الباب الاول — الاتجاه القومي — وهو سرد موجز لتاريخ الحركات القومية في سورية ولبنان ومصر من خلال الأشعار والمقالات . وقد بدأه المؤلف بالكلام على الجامعة العثمانية وأثبت لنا أن الأدب العربي بقي مدة طويلة عثماني الروح ، فإن وجد رجلاً مثل ابراهيم باشا كان يقول : « ما أنا بتركي ، بل أنا ابن مصر ؛ ان شمسها قد غيرت دمي فجعلتني عربياً قحاً ! » فإن عامة الأدباء ورجالات

الفكر من العرب كانوا متمسكين بالخلافة الاسلامية ، مخلصين للجامعة العثمانية ، حتى أن مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر ، كان يقول : « ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها » .

ثم كان الاستبداد الحميدي ، فظهرت الحركات المناوئة للجامعة العثمانية ؛ وقد وقف إعلان الدستور ، الذي تباشرت به العرب ، هذه الحركات ، ولكن غلو الترك بقوميتهم قضى على آمال العرب فعادت الأفكار القومية والاقليمية الى الميدان وامتزجت بالدعوة الى الحرية والاصلاح ، وسهر عليها رواد ممتازون ، من طراز عبد الرحمن الكواكبي .

الباب الثاني — الاتجاه الاجتماعي — وقد مهد له المؤلف بكلمة قارن فيها بين الأدب القديم ، الذي كان يعيش « في كنف الملوك والأمراء أو من يتصل بهم من أرباب الثروة والجاه » وبين الأدب الجديد ، الذي يعيش « على موائد الشعب ومن عطائه وهباته » لأنه « أدب ديموقراطي » . ثم أبرز لنا خمسة « اتجاهات » في هذا الأدب الاجتماعي الحديث ، وهي :

١ — الدعوة الى العلم والحضارة .

٢ — الحملة على المفاسد الناشئة عن التطرف في الحياة العصرية .

٣ — العطف على الطبقات البائسة .

٤ — المطالبة بالحقوق الانسانية والعدالة الاجتماعية .

٥ — مناصرة القضية النسائية ورفع المستوى العائلي .

الباب الثالث — الاتجاه الى التأمل الفكري — التأمل في الحياة الروحية ، والتأمل في الموضوعات المجردة ، والتأمل في الطبيعة والريف .

الباب الرابع — الاتجاه الفني — وهو خاص بتأثير الأدب الغربي في الأدب العربي الحديث ، فان العرب القدامى ، فيما يقول المؤلف ، لم ينقلوا عن الغرب

سوى العلم والفلسفة ، أما أدباء العصر ، فقد نقلوا عن الغرب الأدب والشعر ، وكان من آثار ذلك أن الأدباء الجدد انصرفوا عن السجع والصناعة البديعية الى البساطة ، وأخذوا في تأليف الروايات والقصص والمسرحيات ، وكلها ألوان جديدة في أدبنا . أما شعراؤنا فقد أفادوا من اتصالهم بالغرب وحدة القصيدة والتفنن البياني وحرية الاخراج .

العادات والأخلاق اللبنانية

تأليف أديب لحود

طبع مكتبة صادر بيروت في ٢٤٠ صفحة

كتاب يصف لنا فيه الأستاذ أديب لحود ، شيئاً من عادات اللبنانيين ، في ولاداتهم ومناكحهم وأفراحهم وأحزانهم وزياراتهم ولهوهم ، وما نحسب هذه العادات الا آخذة بالتحول — وقد يكتب على كثير منها الزوال ! — ومن المفيد كثيراً تسجيلها قبل أن تحول أو تزول ، فانها قطعة من حياة وطننا ، ومرحلة من مراحل « تطوره » ، وما ينبغي لها أن تهمل ، فقد تعنى بها الأجيال التي تأتي بعدنا أشد من عنايتنا .

أعجبني في بداءة هذا الكتاب وصف الأسرة اللبنانية ، فهو وصف جد موفق في بساطته ، وقد وجدت فيه للطفل اللبناني معجماً لا يختلف عن معجم أخيه الطفل الدمشقي فالطعام عنده « نن » والشرب « نبو » والمشي « دادي » والخروج « تش تش » والوجع « واوا » والشي الجميل « دح » والشي القبيح « كخ » وهكذا ... ولكن نهاية الكتاب لم تعجبني ، فقد ملأها المؤلف نصائح وألغازاً وألعاباً لا صلة لها بالموضوع ، وكان يحسن به استبعادها من كتابه ، حتى لا يظن أنه إنما كتبها للعوام والبسطاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يلفت النظر حقاً في هذا الكتاب الطريف ـ ويزيد في قيمته عندنا ـ أن كثيراً من العادات والمعتقدات والخرافات والأغاني التي ذكرت فيه لا يختلف في شيء عما نعرفه في الشام ، فوحدة الوطن التي تحجبها السياسات السطحية ، تكشف عنها هذه الأخلاق التي تعبر عن عبقرية الأمة العميقة .

خطرات

تأليف محمد مهدي البصير

١٩٠ صفحة . مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٢

(خطرات) : كلمات ، بل جوامع كلم ، لخص فيها مؤلفها تجاريبه في السياسة والاجتماع وآراءه في الأدب والفن ؛ وهو ، إجمالاً ، يدعو الى الفكرة الديموقراطية الصحيحة في السياسة ، والى الحق والجمال والخير في حياة الناس الاجتماعية ، ويرى إقصاء المرأة عن الميادين العامة ... ولكن هـذا الوصف لا يطمع بتلخيص أبحاث الكتاب ، ففي الكتاب موضوعات لا حد لها ، وهي كلها ملخصة ، وأكاد أقول « مقطرة » و « مكررة » ؛ فليرجع الى هذا الكتاب من يطلب المعنى الكثير في الكلام القليل ، فانه واجد فيه ألواناً كثيرة من الحكمة ، تبدو على بعضها مسحة من تشاؤم ، واليك طائفة من أقواله :

(— لا أدري كيف تصلح أمور قوم هم بين عارف لا يقدر ، وقادر لا يعرف ، ومسكين لا يعرف ولا يقدر !

— يبلغ بعض الرجال بالطاعة ما لا يبلغ غيرهم بالكفاية والاخلاص .

— من الصعب أن تستقيم أمور دولة يديرها موظفون في شكل وزراء ، ووزراء في شكل موظفين .

— من وضع نفسه فوق حوادث الزمن ، لا تستخفه اذا واتته ولا تهزمه اذا تنكرت له وكان عبد عقله وسيد هواه دائماً فذلك هو الرجل الحق .

— البيت حجر الزاوية في بنيان المجتمع والمرأة عماده فاذا آثرت أن تحيا خارجه ، فمن يأخذ مكانها فيه ؟

— قال لي قائل في أحد مقاهي مونبيليه ذات يوم : « إنكم تبيعون المرأة ، أليس كذلك ؟ » فأجبته : نعم يا سيدي ، ولكن على أن يكون قلب الرجل ثمناً لها !

— الدعابة الساخرة ، جد العارفين بالحياة !

— إن بخيلاً يملك ثروة لكنيف يحمل مصباحاً .

— أقل الناس عملاً أولئك الذين لا يرضيهم عمل !

— كن حلواً في أفواه الناس ، ولكن على أن يكون فيك من المرارة ما يمنع من أكلك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— لا يمتحن الصبر بأشد من بلادة ترافقها عجرفة .

— قد تهدم العاطفة في لحظة ما يبني العقل في سنة .

— اذا عملت بوحي عقلك دون أن تقوله فأنت حكيم ، واذا قلته فقط فأنت أديب ، واذا جمعت بين القول والعمل جمعت بين الرجلين .

— اذا استمعت الى سمفونية بتهوفن السادسة فكأني أتنزه في غابة شجراء وأستمتع بحديث رجل مثقف وأنعم بزيارة امرأة جميلة في وقت واحد .

ديوان النبط

مجموعة من الشعر العامي في نجد. جمعه وفسر بعض ألفاظه السيد خالد بن محمد الفرج
طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٥٢

يتألف هذا الديوان من أشعار اربعة شعراء عاميين من نجد، وهم: «حميدان الشويعر» و «محمد بن لعبون» و «عبد الله بن ربيعة» و «عبد الله بن سبيل»، ونشهد لوجه الله شهادة خالصة أننا قرأنا هذا الديوان من بابه الى محرابه، وتحملنا في ذلك مشقة كبيرة، ولكنا لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب.
وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته: «وبعد فلا بد لمن يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر، لأنه صورة صادقة عن ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي»!..

لا والله! ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنه أدب التدهور.. وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل الغث للفخر... فما أجد لطبعه الا فضيلة واحدة: العلم به، للحذر منه.

إنه أدب العامة، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر، ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب!

كتب صغيرة

فلسفة غاندي الاقتصادية

كتيب في خمس عشرة صفحة صغيرة، لخص فيه مؤلفه السيد احمد الحسيني فلسفة غاندي الاقتصادية في ستة أصول، وهي: المبدأ الأخلاقي، البساطة

في المعيشة ، الانتاج للاستعمال وليس لأجل الربح ، عدم العنف ، تقدير العمل وتقديسه ، تحديد استعمال الآلات رفقاً بالعمال (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .

الملكية في الاسلام

كتيب في ٦٠ صفحة صغيرة ، تسبقه مقدمة كبيرة ، وتتبعه فهارس كثيرة ، في مثل عدد صفحاته ، مع أن فهرساً واحداً في صفحة واحدة يكفيه ويزيد .. ألفه السيد أحمد الحسيني ، ليثبت فيه أن الاسلام يحمي الملكية ، ولكنه يكره التوسع فيها وإهمال استغلالها .

ينقل المؤلف تعاريف وآراء لبعض علماء الاقتصاد الغربيين في الملكية ويوازن بينها وبين أقوال فقهاء مسلمين ، ويزكي أقوال المسلمين ويسفه أقوال الغربيين ، وهذا شيء يرضي غرور القارئ ، ولكنه أسلوب غريب عن العلم ، لأن المؤلف لم يحسن ترجمة ما نقله من نصوص الغربيين وما أحسن ترجمته لم يحسن فهمه .

أما لغة الكتاب فحسنة ، لولا أغلاط منثورة هناك وهناك ، كقوله في صفحة ٢٧ : (ما دام ولدوا بعضهم حائزين موقف التمتع بها وولدوا غيرهم وهم كثيرون فاقدين ذلك الموقف) وهي لغة (أكلوني البراغيث) ، وقوله في صفحة ٢٩ : (.. وهو الذي كان لآرائه وأفكاره أثراً بليغاً) فجعل (أثراً) خبراً لكان ، وقد وقع في مثل هذا الخطأ كثيراً ...

الدكتور منير العجلاني

بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن

بقلم هنري غيز وتعريب الأستاذ مارون عبود

من منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة اللبنانية ، ونشر هذا الكتاب في جزئين الأول في (٢٩٤) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة من قطع المتوسط . طبع في بيروت سنة ١٩٤٩ .

وهو من المباحث الأجنبية في تاريخ لبنان ويمتاز عن أمثاله من المباحث بدقه الوصف وأمانة النقل رغم ما جاء فيه من هفوات وأوهام التي لا يخلو منها مصدر أجنبي . إن المؤلف هو افرنسي الأصل ومن مواليد الشرق العربي . نشأ فيه وأتقن لغته ، ثم عين وقتئذ قنصلاً لبلاده في لبنان ، وقد أتاح له منصبه وطول اقامته الوقوف عن كثب على أمور قد لا يتيسر الوقوف عليها لغيره من عابري السبيل ممن كتبوا عن الشرق مستمدين أخبارهم من مصادر لا يركن لصحتها ، حتى ان كثيرين منهم تحدثوا عن أشياء لم يعرفوها الا بالسماع وحكموا على ذمة غيرهم في أمور كثيرة حكماً سطحياً وجائراً . وإن بعضهم تعمد التشويه والتشهير . وأما مؤلف هذا الكتاب لم يذكر على زعمه شيئاً لم يره بأم عينه ولم ينقل الا ما اجمعت عليه الآراء .

ويجد القارئ في هذا الكتاب وصف آثار اندرست معالمها وذكر عادات وتقاليد تطورت مع الزمن وعالج أبحاثاً سياسية وقضايا ادارية واقتصادية أهملها مدونو العرب .

وكان الأستاذ مارون عبود موفقاً في ترجمته هذا الكتاب القيم فلم يخرج عن الأصل كما تقتضيه الأمانة العلمية ، غير أنه أسقط منه متعمداً بعض الفقرات التي رأى فيها ما لا يحتمل ذكره ولا يطاق وحبذا لو اتسعت لها رحابة صدر الأستاذ وأثبت ما أسقط حتى ينقل الينا الكتاب كما وضعه مؤلفه لا كما نريده . ولماذا نكتم ما كتبه عنا أو اختلقه الأغيار ؟

وقد ترفع الأستاذ المترجم عن الرد على المؤلف في بعض ما ذهب اليه وتوهمه لئلا يضيع القارئ في أودية الحواشي ، ولكن هنالك بعض التحريف لا بد من الاشارة اليه ، كما جاء في الجزء الثاني ص : (٣٥) سنة ١٨٠٣ صوابه ١٠٨٣ ، وتوتوخ وصوابه تتش ، ومجير الدين عبس وصوابه مجير الدين ابق وفي ص : (٥١) : تاجانه Tyané وصوابه Teyamné .

نشكر للأستاذ مارون عبود جهوده الموفقة وحسن صنيعه .

فلسطين : وصفها الجغرافي وتطورها التاريخي

لمؤلفيه فخري الدين العبيدي ومحمد خالد الطائي

في (٢٥٦) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد سنة ١٩٤٨

بحث المؤلفان في هذا الكتاب أحوال فلسطين الطبيعية والاقتصادية وتاريخ اليهود فيها وبحثا فكرة الصهيونية وأساليب زعمائها لتحقيق أهدافها واستعرضا جميع المراحل التي اجتازتها القضية الفلسطينية منذ اعلان الوطن القومي اليهودي في ظل الانتداب البريطاني الى أن حلت بالعرب النكبة المشؤومة في عام ١٩٤٨ وانتهت بتأسيس دولة اسرائيل .

وشرح المؤلفان القضية شرحاً علمياً مجرداً عن العواطف والأهواء وعززا دراستها بوثائق رسمية قلما جمعت في كتاب واحد ، وقد حققا فيه الغاية التي وضع من أجلها فهو بحق : « سفر لمن يريد معرفة وضع فلسطين ودليل لمن يبتغي التوجه والعمل لخلاصها . وسجل لمن يقصد تقصي أحوالها ، فكان تنفيذاً لفكرة واظهاراً لعقيدة » .

فعسى أن يجد جمهرة العرب في موضوع الكتاب العبرة واليقظة بعد غفلتهم الطويلة ، والعاقل من اتعظ والصادق من عمل وأخلص .

وقد ترفع الأستاذ المترجم عن الرد على المؤلف في بعض ما ذهب اليه وتوهمه لئلا يضيع القارئ في أودية الحواشي ، ولكن هنالك بعض التحريف لا بد من الاشارة اليه ، كما جاء في الجزء الثاني ص : (٢٥) سنة ١٨٠٣ صوابه ١٠٨٣ ، وتوتوخ وصوابه تنش ، ومجير الدين عبس وصوابه مجير الدين ابق وفي ص : (٥١) : تاجانه Tyané وصوابه Teyamné .

نشكر للأستاذ مارون عبود جهوده الموفقة وحسن صنيعه .

فلسطين : وصفها الجغرافي وتطورها التاريخي

لمؤلفيه فخري الدين العبيدي ومحمد خالد الطائي

في (٢٥٦) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد سنة ١٩٤٨

بحث المؤلفان في هذا الكتاب أحوال فلسطين الطبيعية والاقتصادية وتاريخ اليهود فيها وبحثا فكرة الصهيونية وأساليب زعمائها لتحقيق أهدافها واستعرضا جميع المراحل التي اجتازتها القضية الفلسطينية منذ اعلان الوطن القومي اليهودي في ظل الانتداب البريطاني الى أن حلت بالعرب النكبة المشؤومة في عام ١٩٤٨ وانتهت بتأسيس دولة اسرائيل .

وشرح المؤلفان القضية شرحاً علمياً مجرداً عن العواطف والأهواء وعززا دراستها بوثائق رسمية قلما جمعت في كتاب واحد ، وقد حققا فيه الغاية التي وضع من أجلها فهو بحق : « سفر لمن يريد معرفة وضع فلسطين ودليل لمن يبتغي التوجه والعمل لخلاصها . وسجل لمن يقصد تقصي أحوالها ، فكان تنفيذاً لفكرة واظهاراً لعقيدة » .

فعسى أن يجد جمهرة العرب في موضوع الكتاب العبرة واليقظة بعد غفلتهم الطويلة ، والعاقل من اتعظ والصادق من عمل وأخلص .

Textes géographiques arabes sur la Palestine, recueillis et traduit par le R. P. Marmardji. Paris 1951.

يقع الكتاب في (٢٦٨) صفحة من قطع الوسط طبع في باريز سنة ١٩٥١ وينطوي على ترجمة كتاب بلدان فلسطين العربية الى الافرنسية الذي وعد الأب مرمرجي في مقدمته تحقيقها خدمة لذوي التخصص من أبناء الغرب ممن لا يتسنى لأكثرهم الاطلاع عليها في مصادرها العربية .

وقد جاءت الترجمة بجملتها صحيحة يركن اليها . وان الملاحظات التي نبهنا اليها في الأصل العربي تكرر أكثرها في هذه الترجمة ويضاف اليها زيادة فصل في الصفحتين ١١٠ و ١١١ منقول من (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) للظاهري غير وارد في الأصل العربي ، كما أنه سقط من الترجمة (ص : ١٩٥) جميع مادة وصف بحيرة المنتنة أو بركة لوط .

نشكر حضرة الأب مرمرجي على ما يبذله من جهد في خدمة تاريخ بلاده .

Fossatium Africae

لمؤلفه جان برادیز (Jean Baradez) ومن مطبوعات مديرية الفنون الجميلة وديوان الآثار القديمة في الجزائر ، ويبلغ عدد صفحاته (٣٦٠) صفحة من القطع الكبير بورق صقيل وطبع أنيق يتخللها عدد كبير من الصور والمخططات . طبع في باريز سنة ١٩٤٩ .

تناول المؤلف في هذا الكتاب سلسلة أبحاث في التدابير الادارية والعسكرية التي اتخذتها السلطات الرومانية لتوطيد دعائم سلطانها في الجزء المعمور من الجزائر وحمايته من خطر غزاة الصحراء . وقد حصر المؤلف دراسته في منطقة الحدود

الجنوبية التي يبلغ طولها (٧٥٠) كيلومتراً ويختلف عرضها بين (٦٠) و (٨٠) كيلومتراً باحثاً عن مواقع الحصون والمخافر التي أقامها الرومان على ثغور هذا الخط لدفع عدوان برابرة الصحراء ومنع تسربهم الى ما وراثها ٠

ولم تكن محاولة المؤلف الاولى في بابها فقد سبقه اليها منذ احتلال الجزائر عدد من المشتغلين بتاريخ افريقية الشمالية في العهد الروماني ومن أبرزهم (رينه كانيا) (René Cagnat) و (ستفان جسيل) (Stéphane Gsell) وقد زعما أنهما أحصيا جل الأبنية التي خلفها الرومان في الجزائر ٠ وبذلا في سبيل ذلك الجهد والمال في رحلات طويلة ، محفوفة بالأخطار وفي بلاد مترامية الأطراف ، وعرة المسالك وضنينة بأسرارها ٠

ان مهمة أمثال هؤلاء الرواد ـ و كانت تعتبر في الماضي مغامرة وبطولة ولا يقدم عليها الا من تحلى بالشجاعة والصبر على مكاره السفر واقتحام أخطاره ـ أصبحت اليوم بفضل الطائرة والتصوير متعة تحدت الزمن وتخطت العقبات و كان السيد كريفورد (Crawford) أول من استعمل هذه الطريقة الحديثة وجربها في انكلترا عقب الحرب العالمية الاولى ثم طبقها الأب بوادبار (Poidebard) على نطاق أوسع في سورية وقد أسفرت هذه التجربة عن أحسن النتائج اذ استطاعت عدسة آلة التصوير أن تلتقط من الجو بارتفاع معين وفي ساعات محدودة من النهار ما تعجز العين المجردة عن ادراكه بصورت الأبنية التي حجبتها عن النظر الأتربة والرمال أو غمرتها الأمواه تصويراً ظاهراً واضحاً ٠

وقد زينت هذه النتائج لمؤلف هذا الكتاب وهو من قادة سلاح الطيران الافرنسي أن يحلق فوق بادية الجزائر مستطلعاً المنشآت الدفاعية من حصون ومخافر وطرقات واقطاعات التي نظمها الرومان في هذه المنطقة الجرداء ٠ استغرق عمله ثلاث سنوات حقق خلالها النتائج الباهرة التي عرضها لنا في كتابه ويعتبر

هذا الأسلوب الحديث في البحث عن الأبنية الأثرية مرحلة جديدة في صحة المعلومات واختصار الوقت وحبذا لو تطبق هذه الطريقة في بقية الأعمال الحكومية الواسعة كالتحديد والتحرير وغيرها من دراسات المساحة والتخطيط كسباً للوقت وتوفيراً للنفقات والجهد ·

Stéfan Zweig - Le Brésil terre d'avenir. Traduit de l'allemand par J. Longeville. Paris 1949.

البرازيل أرض المستقبل

لمؤلفه ستيفان زويغ · ترجمه من الألمانية الى الفرنسية جان لونجفيل ·
عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الصغير · طبع في باريز سنة ١٩٤٩ ·

أكثر الناس لا يميزون بين البرازيل وغيرها من جمهوريات أميركا الجنوبية ، فهي في نظرهم محط رحال خليط من معاسري الأمم ومشرديهم ، فرقتهم المنازعات العنصرية والدينية وشغلتهم عن الحضارة والعمران وطاب لهم عدم الاستقرار ·

لبى مؤلف هذا الكتاب دعوة لزيارة البرازيل للتعرف اليها ـ وكان من هؤلاء المخدوعين وحامل فكرتهم ـ وهو قانع انه سوف لا يجد في هذا البلد المنحط أكثر مما يعرف عنه هو وأمثاله من الاوروبيين وبقية شعوب أميركا الشمالية · ويتساوى بالجهل بأحوال هذا البلد الخاصة منهم والعامة ، ومن طريف أوهامهم ما وقع فيه أحد كبار أدباء الانكليز الذي أرسل بطل روايته الى عاصمة البرازيل ليتعلم اللغة الاسبانية مع أن سكانها لا يتكلمون الا البرتقالية ·

لم تكد تطأ قدما المؤلف عاصمة البرازيل حتى تبددت أوهامه وهبط من عليائه وتضاءل في نظره ما كان يفاخر به أبناء العالم القديم غيرهم من شعوب

هذا الأسلوب الحديث في البحث عن الأبنية الأثرية مرحلة جديدة في صحة المعلومات واختصار الوقت وحبذا لو تطبق هذه الطريقة في بقية الأعمال الحكومية الواسعة كالتحديد والتحرير وغيرها من دراسات المساحة والتخطيط كسباً للوقت وتوفيراً للنفقات والجهد .

Stéfan Zweig - Le Brésil terre d'avenir. Traduit de l'allemand par J. Longeville. Paris 1949.

البرازيل أرض المستقبل

لمؤلفه ستيفان زويغ . ترجمه من الألمانية الى الفرنسية جان لونجفيل . عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الصغير . طبع في باريز سنة ١٩٤٩ .

أكثر الناس لا يميزون بين البرازيل وغيرها من جمهوريات أميركا الجنوبية ، فهي في نظرهم محط رحال خليط من مماسري الأمم ومشرديهم ، فرقتهم المنازعات العنصرية والدينية وشغلتهم عن الحضارة والعمران وطاب لهم عدم الاستقرار .

لبى مؤلف هذا الكتاب دعوة لزيارة البرازيل للتعرف اليها - وكان من هؤلاء المخدوعين وحامل فكرتهم - وهو قانع انه سوف لا يجد في هذا البلد المنحط أكثر مما يعرف عنه هو وأمثاله من الاوروبيين وبقية شعوب أميركا الشمالية . ويتساوى بالجهل بأحوال هذا البلد الخاصة منهم والعامة ، ومن طريف أوهامهم ما وقع فيه أحد كبار أدباء الانكليز الذي أرسل بطل روايته الى عاصمة البرازيل ليتعلم اللغة الاسبانية مع أن سكانها لا يتكلمون الا البرتقالية .

لم تكد تطأ قدما المؤلف عاصمة البرازيل حتى تبددت أوهامه وهبط من عليائه وتضاءل في نظره ما كان يفاخر به أبناء العالم القديم غيرهم من شعوب

الأرض ، فقد شاهد في البرازيل على حداثة عهدها في الحضارة عمراناً يفوق عمران أعظم عواصم أوربا ورأى من حسن التنسيق وسلامة الذوق ما يفتقر لمثله الغرب ؛ وقد تضافرت هنا الطبيعة وعبقرية الانسان فابدعتا أروع نماذج العمران الحديث مستمدة من تقاليد البلاد الحميدة ، وصاغ قومها حضارة جديدة دون أن يزدروا بثقافتهم القديمة . وقد أكبر المؤلف في هذا الخليط من الناس التفافهم حول قوميتهم الجديدة والاعتزاز بها دون تمييز عنصري أو اضطهاد دبني . وقد تآخى القوم في اغترابهم ونبذوا أحقادهم وعاشوا في سلام ووئام .

وكان المؤلف على حق في قوله : ان البرازيل هي : «أرض المستقبل» في اقتصادياتها وعمرانها ، ونحن نزيد عليه بأنها ستكون أيضاً خير مثال يحتذى اذا أراد العالم أن يسوده السلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Hinry Valloton - Brésil terre d'amour et de beauté. Lausanne 1948.

البرازيل بلد الحب والجمال لمؤلفه هنري فالوتون . عدد صفحاته (٢٩٣) من قطع الوسط تتخللها بعض الصور . طبع في لوزان سنة ١٩٤٨ .

وصف المؤلف في هذا الكتاب رحلته الى البرازيل فأحسن وصفها ، وأخذ بسعة هذا البلد ووفرة ثروته الطبيعية ، وأعجب بنهضة شعبه ووحدة أمانيه على تعدد عناصره ومذاهبه ، وأكبر جهود حكومته وبسطها سلطانها على هذا العالم المترامي الأطراف وتفوقها في استثمار خيراته .

أقام المؤلف سنتين في تلك الديار قطع خلالها في رحلاته أكثر من (١٥٠٠٠) كيلومتر فأدرك أطرافها ولم يلج صميمها لقصر مدة اقامته ، والبرازيل كما يقول : «ليست دولة بل هي عالم لم تنتهِ الى اليوم اكتشافات مجاهله ،

ويكاد عمر المرء كله يكفي للاحاطة بأجوائه » . ويشتم القارئ في قوله ريح الدعاية رغم زعم المؤلف بأنه وفق الى دراسة هذا البلد ووقف على دخائله وعالج مشاكله بنزاهة واخلاص وتنبئه له بأطيب الآمال . ولم يكن مؤلفنا أول من فتن بالبرازيل وسكانها بل هذا هو شعور كل من زار تلك الجمهورية العظيمة وتعرف اليها ، فهو بحق بلد الحب الجمال والنبل وكرم الوفادة . ونحن السوريين أول من يشارك المؤلف عواطفه نحو البرازيل ولنا من جالياتنا أصدق الشهود لما يلقونه فيها من كرم المثوى والتسامح والمعاونة .

Xénophon - de l'art équestre, édité par Edouard Delebecque

الفروسية

تأليف كزينفون . نشره وترجمه من اليونانية الى الفرنسية الدكتور ادوار لبيك وعلق عليه . طبع في باريز سنة ١٩٥٠ .

احتل الفرس في العالم القديم مكانة عظيمة ، وكان منذ أقدم العصور موضع عناية الشعوب واهتمامهم ، وهو أكرم حيوان استصحبه الانسان وانتفع بخصائصه وعقد الخير في ناصيته . وكثر الكاتبون في صفاته وفوائده وتوسعوا في طرق رياضته وتحسين نوعه . وقد عثر في بوغازكوي على كتابة حثية كتبت حول عام (١٣٦٠) ق . م ذكر فيها كاتبها القواعد التي يجب أن يعرفها سائس الخيل ومدربها لإتقان مهنته واعدادها لفنون الحرب في الكر والفر ومعالجتها في مرضها . وكانت عناية الحثيين بالخيل التي جلبوها من أواسط آسيا واعتمادهم عليها في هجماتهم الخاطفة في غزواتهم من أهم عوامل تغلبهم على شعوب الشرق الأوسط . وقد أدركت الشعوب المغلوبة خطر هذا الحيوان وفوائده في الحرب والسلم تتنافسوا

باقتنائه والعناية به . وقد عني اليونان بالفرس وكرموها وأدخلوها أساطيرهم الدينية وأبدعوا بتمثيل فرسانهم في فنونهم الجميلة .

ومؤلف هذه الرسالة هو من هواة الخيل في اليونان وفرسانهم ، عاش في القرن الرابع ق . م . وقد دوّن لولديه في هذه الرسالة خبرته الطويلة في تربية الخيل وانتقاء جيادها ، فوصف لها محاسنها وعيوبها وما يلزمها من علف ومأوى وما تتطلبه سياستها من فطنة وحكمة ، وأسهب في تعداد أساليب تدريب هذا الحيوان وتطبيعه للأغراض التي اقتني من أجلها .

كتب المؤلف رسالته بأسلوب بسيط وتغلب السجاجة على أحكامه على كثير الأمور التي يرويها ، فهو شاهد يدلي بمشاهداته دون تعليل أو تنميق . ومحترف ماهر تعوزه بلاغة البيان في مهنته وحسن التنسيق في بحثه . ولم يكن مؤلفنا من مفكري اليونان ونوابغه المبدعين ممن وضعوا قواعد علمية معينة أو قرروا نظريات عامة . بل كان همه تخريج فرسان وتدريبهم في فنون الفروسية وتوابعها وارشادهم الى محاسن الجياد وعيوبها وأساليب تطبيعها والعناية بها ، وقد حقق هذا الكتيب غايته وخلف لنا صورة صادقة عن نظر الأقدمين في الخيل ومبلغ انتفاعهم بها . وكان الفضل لمترجم الكتاب وناشره في توضيح غوامض النص اليوناني وبيان فوائده .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدخل الى تاريخ الحضارة (الجزء الأول)

تأليف الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية

يبحث الدكتور المؤلف في كتابه هذا في شروط الحضارة ومظاهرها وفي طلائع الحضارة ومصادرها ، وفي تفاعلات الحضارة ومآثرها في بلاد الشرق القديم وفي العالم اليوناني الروماني حتى ظهور النصرانية . وقد استعرض فيه قصة الحضارة والعوامل التي أدت الى ظهور حضارات مختلفة ، وتناول أسباب نموها وانتشارها ثم انحطاطها وقد جمع في هذا الكتاب على صغر حجمه عصارة ما كتبه في هذا البحث علماء أعلام في عشرات المجلدات . وقد بذل جهوداً محمودة حتى قدم الى مواطنيه هذا الكتاب وهو الأول من نوعه باللغة العربية .

وكان الدكتور موفقاً بأكثر الألفاظ العربية التي اختارها أو وضعها للاصطلاحات الفنية الأجنبية ، وقد مهد بذلك السبيل لكل من يرغب باقتفاء أثره . وحبذا لو جمعها في مسرد ليسهل الرجوع اليها والافادة منها .

وقد توسع الأستاذ المؤلف في تعريب بعض أسماء الأمكنة ، فقال في ص : (٥٩) تل غورا وتل حصار بدلاً من تبة غورا وتبة حصار مع ان الكتب الأجنبية تحرص على ذكر الأسماء كما اشتهرت بها فقالوا : تل الحريري وتل كوجك وتل العبيد الخ . وجاء في ص : (٥٩) القرميد النيء مع أنه يقابلها لفظة اللبن ، وفي ص : (٧٣) اكيتوم وصوابها اكثيوم . وفي ص : (٨٣) منتصف الأول ق . م ولعله أراد منتصف القرن الأول ق . م . وفي ص : (٨٥) أساس سكان مصر والأفضل أن يقال أصل سكان مصر . وفي ص : (٨٦) الطوب المجفف يقابلها اللبن . وفي ص : (١٤٧) وقلمتان صوابه وقلعتان . وفي ص : (١٦٥) الطين المشوي يقابله الآجر .

ويبشر هذا المدخل الذي أتحف به الدكتور الخزانة العربية بأن الأجزاء المنتظرة التي مهد لها سوف لا تقل عنه فائدة وتدقيقاً ينتفع بها الطالب والباحث .

ARCHIVE

الديارات

تأليف أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . عني بتحقيقه ونشره الأستاذ كوركيس عواد . عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الكبير ، طبع في بغداد سنة ١٩٥١ .

أحسن الأستاذ المحقق في اختياره هذا السفر النفيس ، وأجاد في نشره والتعليق عليه . وكان يغلب على الظن ان هذا السفر كان نصيبه الضياع كالكثير من تراث السلف ومآثرهم . ولكن عناية الأقدار شاءت أن تنجو منه نسخة فريدة استقرت في مكتبة برلين العامة ، كتبت سنة ٦٣١ هـ . وعسى أن يساعد نشر هذا الكتاب على ظهور نسخ جديدة منه محفوظة في خزائن الكتب الخاصة تساعد على اتمام نقصه وتصحيح عبث الناسخ وتقويم تصحيفه وتحريفه .

ان لكتاب الديارات منزلة أكبرها الأقدمون واعتمدوه في كتبهم لما يحوي من أنباء البلدان والأحداث التاريخية وسير الرجال وما انطوى عليه من طرف أدبية وغرر شعرية أغفلها غيره ، وهو كما قال عنه الأستاذ حبيب زيات : « إنه ذخر للمؤرخ وغنية لكل أديب وحقيق بالخدمة » . وقد نقل عنه كثير من المؤلفين فصولاً أودعوها مؤلفاتهم منهم : أبو صالح الأرمني ، وياقوت الحموي ، وابن شداد ، والقزويني ، وابن فضل الله العمري وغيرهم .

قد جاء في الحاشية (٥) من ص : ١٣٠ : فيق من مدن فلسطين القديمة وصوابه من مدن سورية وهي اليوم مركز قضاء الزوية الغربية .

وجاء في ص : ١٣٧ في فصل دير البخت بأنه بدمشق وعلى فرسخين منها ، وقد علق الأستاذ المحقق بما ذكره عنه الأستاذ (دوسو) في خططه بأنه في حوران شمالي قرية الصنمين . وأعتقد بأن الدير المذكور في الديارات هو غير القرية التي ذكرها الأستاذ (دوسو) وهي على نحو ثماني فراسخ من دمشق . ان اختلاف البعد بين المكانين وتباين الأوصاف تبعد الالتباس بينهما ، وصف الأول بأنه

في موضع نزه فيه جنائن وماء جار بينما دير البخت الحورانية في موضع موحش لا ماء فيه ولا جنائن ، ولذلك يجب البحث عن دير البخت في غوطة دمشق بما جاورها في حدود الفرسخين حيث الماء والحدائق .

وجاء في ص : ٣٤١ : كلمة مقارنة بدل مطارنة وهي غلطة مطبعية لا تغيب عن نطنة القارئ .

وقد ضم الأستاذ المحقق الى هذا الكتاب ذيلاً قيماً بقلمه وفهارس مطولة دلت على غزير علم الزميل الكريم وسعة اطلاعه فجزاه الله على خدمة العلم خيراً وبارك بجده وجهوده .

تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد علي ، يقع الكتاب في مجلدين ويبلغ عدد صفحات جزء الأول (٤١٧) صفحة والثاني (٤٣٠) صفحة ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي وطبع الجزءان في بغداد في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وزينا بكثير من الرسوم والمصورات .

قدم الأستاذ المؤلف في هذين الجزئين القسم السياسي من تاريخ العرب قبل الاسلام . وهذه الدراسة على ما أعلم هي أوسع ما كتب حتى الآن في هذا الموضوع في العربية أو في أي لغة أعجمية . جمع في هذا الكتاب صفوة ما كتبه الأقدمون والمعاصرون عن أخبار العرب في الجاهلية وأضاف اليها ما وصل اليه هو وثمرات أفكاره ونتيجة أبحاثه ، وكون من كل ذلك نواة لتاريخ العرب قبل الاسلام ، وجعل من كتابه هذا نقطة انطلاق لكل راغب بمواصلة البحث والتوسع فيه وكشف الكثير من غوامضه وخفاياه التي يعوزها التحقيق والتدقيق ، ولا يرجى للطامعين المزيد بعد أن استنفذ المؤلف معظم المصادر المعروفة الا اذا أطلق للعلماء حرية التجول في مجاهل شبه جزيرة العرب للبحث عن آثارها وجمع الجديد من أخبارها ، ويقع العبء الأوفر من هذه المهمة على عاتق الآثاريين

الناشئين العرب ومن واجب الحكومات العربية ومعاهدها العلمية مساعدة هؤلاء العلماء على تحقيق هذه الخدمة العلمية والغاية القومية .

وقد بحث المؤلف في الجزء الأول من كتابه عن الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي ، ووصف جزيرة العرب ، وصلات العرب بالساميين ، وطبقات العرب وأنسابهم ، وتاريخ شبه جزيرة العرب ، وخص الجزء الثاني بتاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربيـة التي عاشت قبل الميلاد وقد استخلص أخبارها من كتابات المسند القديمة ومن مصادر أخرى .

واني لأرجو من المؤلف أن يسمح لي بابداء بعض الملاحظات وان لا أشاطره رأيه في حصر أثر العرب قديماً في بادية الشام لأن الاكتشافات الأثرية الجديدة والدراسات اللغوية والدينية أثبتت بأن توغل العرب في مختلف أجزاء الديار الشامية كان قديماً أعمق مما يظن اليوم . وقد فات المؤلف عند بحثه عن حدود بادية الشام في ص : (١ : ١٢٣) ذكر كتاب : (Poidebard - La trace de Rome dans le désert de Syrie) وهو أوفى بحث في هـذا الموضوع . وجاء في (١ : ١٣٥) (قبائل عنيزة) والمتعارف عليه هو قبائل عنزة . وفي (١ : ٢٠٢) الجبيل وصوابه جبيل . وفي (٢ : ٣٣٢) (Azalla) موقع في بادية تدمر بين أرك ودمشق وصوابه : (Nazalla) وهي على الأرجح قرية القريتين الحالية بين تدمر ودمشق . وفي (٢ : ٣٣٦) وجعل عليها (Satrap) وأصح أن يقال وجعل عليها (مرزباناً) وفي (٢ : ٣٦٦) « ارتاس » وصوابه « الحارث » وهو الاسم العربي الذي اشتهر به .

نشكر المؤلف على جهوده القيمة كما نشكر المجمع العلمي العراقي الذي أتاح له فرصة نشر ثمرة أبحاثه المفيدة ونأمل أن يبر المؤلف بوعده وينشر تتمة أبحاثه عن حضارة العرب وحالتهم الثقافية والاجتماعية قبل الاسلام ونحن بأمس الحاجة لمثل هذه الأبحاث الجديدة .

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

فجع المجمع العلمي العربي — بعد أن تم طبع هذا المجلد من المجلة — برئيسه العلامة الكبير الأستاذ محمد كرد علي . اختاره الله يوم الخميس في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٢ والثاني من نيسان سنة ١٩٥٣ .

والمصاب بالأستاذ الرئيس اذا خص مجمعنا العلمي العربي ـ وقد كان مؤسسه الأول ورئيسه الدائم ربع قرن كاملاً يتعهده برعايته ، ويرعاه بعنايته ، ويسهر على تقدمه وازدهاره . وينفق عليه من روحه ووقته وعلمه ـ فقد عم مصابه الشام ، وهو مؤرخه الثبت في واسع اطلاعه ، وصحيح حكايته ، وجري روايته ، مقرراً للحوادث والوقائع ، مستخلصاً للحقائق ، بفكر نقاد ، وقريحة صافية ، وأسلوب أدبي رفيع ، كان نسيج وحده .

هذا الى ما كان له في العالمين العربي والاسلامي من الشهرة الواسعة والمكانة العالية لما كان يبعثه من كنوزهما . وينشره من حضارتهما . داعياً مخلصاً لنهضة صحيحة . بلسانه محاضراً ، وبقلمه كاتباً ومؤلفاً ، وفي مجالسه منبهاً ومحدثاً ، وفي صحفه داعية ومرشداً ، ما وقفه مرض ، ولا عاقته شيخوخة ، عن هذه الخدمة العلمية الصادقة النصوح ، لقومه ولأمته .

رحمه الله عداد حسناته وخدماته .

الدراسات الاجتماعية

أقام المجمع العلمي العربي في داره مساء السبت الواقع في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ الموافق ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٢ حفلة تكريم لممثلي الدول العربية والاسلامية في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت دورتها الأخيرة في دمشق فألقى العلامة الدكتور أسعد الحكيم أحد أعضاء المجمع الكلمة الآتية :

سيداتي . سادتي !

أحييكم بأحسن تحية ، وأرحب بكم أجمل ترحيب ، باسم هذا الصرح العلمي التاريخي ، الذي هو أول مجمع علمي عربي أنشئ في هذا الشرق الأوسط . فقد مضى على تأسيسه ثلاث وثلاثون سنة أدى فيها وما زال يؤدي رسالته في خدمة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة العربية العامة بصدق وأمانة . وإذ أزف اليكم تحيته فانه يحيّي فيكم المبدأ السامي الذي اجتمعتم من أجله ، والعناية الانسانية المثلى التي ترمي هذه الحلقة اليها ، والحكومات العربية التي عهدت اليكم بهذه الأمانة فأحسنتم أداءها كما ستحسن هي العمل بتوصياتكم بعون الله .

ومن بواعث سرور هذا المجمع أن يكون ختام اجتماعات هذه الحلقة الدراسية الاجتماعية في هذه الدار المباركة التي يرقد على مقربة منها ، ونفسه مطمئنة ، بانيها ، المحقق الأول للعدالة الاجتماعية التي جاء بها صاحب الشريعة الاسلامية . فقد كان للملك العادل في ميدان الخدمات الاجتماعية التي تقصد الى تحقيقها فخر السبق والحظ الأوفر : مستشفيات في كل بلد للمرضى مفتوحة الأبواب لكل من يؤمها ، وملاجئ للزمنى المقعدين والمصابين بالأمراض العقلية ، والمجذّمين تعد من حيث نظمها وادارتها وغذاؤها وعدد الأطباء والمشارفين

والخدم فيها كأحسن المستشفيات والملاجئ في هذا العصر . ومكاتب للأيتام تجري عليها وعليهم وعلى معلميهم الجرايات . ومدارس ومساجد ومنازل للغرباء والفقراء لكل منها أوقاف معينة . كما أن هنالك أوقافاً لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ، وأوقاف تجهيز البنات الى أزواجهن ، وهن اللواتي لا قدرة لأهلين على تجهيزهن (وهذا لم يلاحظ في أعمال هذه الحلقة) الى غير ذلك من أعمال البر والاحسان غير الممنون التي تعد لشاعها من أجل الخدمات الاجتماعية وتخلد لملك العادل في تاريخ الانسانية والعدالة الاجتماعية أطيب الذكر ، لا سيما وهو القائل لأصحابه عندما تعرضوا لكثرة خرجه في هذه السبيل : « إنما أنتم ترزقون وتنصرون بضعفائكم . وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال . كيف يحل لي أن أعطيه غيرهم ؟ » .

وكأني بروحه الزكية وقد انتعشت لذكراها الآن فجاءت ترفرف فوق هذا الجمع الكريم تبارك مسعاه وتشكر له سعيه ، وترجو لتوصياته التحقيق ، والله المستعان . والسلام عليكم . اه .

* * *

فأجاب العلامة الأستاذ محمد العشماوي رئيس الوفد المصري على هذه الكلمة بما عرف به من علم وطلاقة وبلاغة وسحر بيان فأثنى على المجمع العلمي العربي أقدم المجامع العلمية العربية وعلى جهوده وانتاجه العظيم خير ثناء . وامتدح دمشق بأنها السباقة الى كل ما فيه فخر للعروبة . ثم شكر للأستاذ رئيس المجمع العلمي كريم دعوته وعظيم الحفاوة التي استقبل المدعوون بها متمنياً لهذا المجمع الازدهار والتقدم .

الألفاظ المكررة

تعرض للكاتب الفاظ تلازمه فيكررها في كلامه على غير قصد، وليست غلطاً بل غلط ذوق. وهل الكتابة الا كلام بذوق؟ وما كانت المكررات يوماً تحلو في الذوق. والمكرر يمكن تفاديه لاتساع اللغة وما بالكاتب حاجة الى استعمال لفظة واحدة في صفحة واحدة عشر مرات وأحياناً أكثر. ومما وقع لنا ووقع لغيرنا وكثر استعماله على هذا الوجه لفظ «البلاد» وفي الألفاظ التي تؤدي معناها غنية عن هذا التكرار، مثل: «الديار»، «الأرض»، «الممالك»، «المملكة»، «الأقطار»، «القطر»، «البلد»، «الأرجاء»، «الأقاليم»، «الأصقاع»، «الأوطان»، «الموطن»، «الوطن»، «القارة»، «البر» الخ. يستعمل من كل أولئك ما يناسب المعنى المراد.

وتتصرف كلمة «البلاد» على كلمات كثر ترددها فابتذلت ومجتها النفوس وان كانت لا غبار عليها من حيث اللغة وهي كلمة: «فحسب»، «اللهم»، «أجل»، «أي». ووقع لأحدهم أن أتى بلفظ «أي» سبع مرات في مقطعين من كلامه. فقال: «أي شعب»، «أية فلسفة»، «أية أمة»، «أية فلسفة» (مرة ثانية)، «أي خلق»، «أي مبدأ»، «أية أمة» (مرة ثانية). ووقع لأحد كتاب مصر أثناء كلامه على ديوان نشر حديثاً أن كرر لفظة فحسب نحو عشرين مرة في المقدمة. ومثله ما حدث لكاتب آخر أن كرر في حديث له في المذياع كلمة «اللهم» أكثر من عشر مرات.

واستعمال كلمة بعينها في قصد واحد ينعي على الكاتب عجزه وقلة بضاعته من الألفاظ وهي ميسورة له. وكثيراً ما يقع ذلك في كلام متأدبين فاذا لفت أنظارهم اليها يعتذرون عن تماديهم في ايرادها بانهم يقررون قضايا علمية ولا يهتمون لغير الافصاح عن المعنى ولذلك كان لهم أن يستعملوا من المفردات ما طاب لهم،

تصحيح سبعة أسطر

حينما طالعت (تاريخ داريا لابن المهنا) وجدت فيه من التحريف والتصحيف غرائب وبخاصة في ص (١٢٦) فقد ورد فيها من الغموض والابهام ما جعلني أرجع الى تاريخ ابن عساكر فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو «خلف بن محمد» وإنما هي ثلاث تراجم لثلاثة أشخاص كل واحد منهم غير الآخر ، مزج الأستاذ سعيد الأفغاني محقق هذا الكتاب بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد . وان ما في هذه الصفحة من الخطأ الفادح دفعني الى نشر تصحيحها حتى لا يقع فيه من ينقل عن هذا الكتاب أو يفيد منه .

وهذه صورة ما ورد في (ص ١٢٦) من تاريخ داريا بتحقيق الأستاذ الأفغاني :

خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن أبي يعقوب الاذرعي : حدثنا عنه ابو محمد عبد العزيز بن احمد ابن احمد بن عمرو بن معاذ ابيه [كذا ؟] عبد الله بن احمد بن عمرو بن معاذ العنسي .

أبو الحسين يروي عن ابي الميمون بن راشد وابي الحسن بن حذلم ، وابي القاسم ابن ابي العقب ، وابي يعقوب الاذرعي وغيرهم . توفي بداريا[1] في شوال سنة اربع عشرة واربعمائة .

وعلق المحقق على قوله « بداريا[1] » مايلي : (١) في ترجمة ابن عساكر له انه كان قاضي داريا ـ ٣/٢٤٧ أ ـ وفي ص ٣/٢٤٧ ب منه ان وفاته كانت سنة ٤٠٩ هـ .
هذا ما جاء في ص (١٢٦) ويظهر الاضطراب بادياً بين متن الكتاب

من أن محمد بن خلف توفي سنة (اربع عشرة واربعمائة) وبين ما عاق عليه المحقق من ان وفاته سنة (٤٠٩) .

أما صواب ما تقدم فكما يلي :

خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد المعنسي

حدث عن ابي يعقوب الاذرعي . حدثنا عنه ابو محمد عبد العزيز بن احمد [الكتاني] (١)

أحمد بن عمرو بن معاذ العنسي

[روى عن] أبيه . [وروى عنه ابنه] عبد الله بن احمد (٢)

عبد الله بن أحمد بن عمرو بن معاذ العنسي

ابو الحسين . يروي عن ابي الميمون بن راشد ، وابي الحسن بن حذلم ، وابي القاسم بن ابي العقب ، وابي يعقوب الاذرعي وغيرهم ، توفي بداريا في شوال سنة اربع عشرة وأربعمائة (٣) .

هذا ما أردنا تصحيحه الآن ، ولعلنا نعود الى تصحيح ما ورد في هذا الكتاب في فرصة أخرى .

محمد أحمد دهمان

---

(١) هذه ترجمة مستقلة وقد انتهت راجع تاريخ ابن عساكر اختصار بدران (١٧١/٥) تر ترجمة مستقلة مع تصحيف فيها .

(٢) وهذه ترجمة مستقلة أيضاً راجع المصدر المذكور (٤١٨/١) تر ترجمة مستقلة مع تصحيف فيها .

(٣) ترجمة ثالثة مستقلة . المصدر السابق (٢٨٥/٧) تحقيق الأستاذ احمد عبيد .

نابغة مصر الا أن يشكره على عنايته ويفيد من نصحه الثمينة ، ويشفع لهذا الأسلوب الجديد في النقد الصدق وقول الحق .

ولا مراء في أن للآداب خطة سيضطر كل من يمسك القلم ليؤلف للناس أن يحاسب نفسه بعد الآن قبل أن يحاسب غيره ويعلمها قبل أن يدعي مقام المعلم .

كثر التافه في التآليف الجديدة حتى عافت النفوس الكريمة كل ما يطلق عليه اسم الأدب . ورأينا الجرأة على نشر الغث والخفيف الوزن توازي غرام بعضهم اخراج للناس ما لا ينفعهم . يداوي الدكتور طه فوضى الأقلام بدرياق علمه وصحة حكمه وقد سئم القوم مصانعات المجلات والجرائد للمؤلفين والناشرين ومجت الأذواق الكتابات التجارية الرخيصة .

محمد كرد علي

(استدراك آخر)

كتب الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي تعليقاً على ما ورد في جريدة الأخبار المصرية بعنوان (بين الفصحى والعامية) منتصراً فيه لمجمع اللغة العربية المصري ولوزارة المعارف أيضاً ، بحرص المجمع على انتقاء كلمات عربية أصيلة ، تحل محل الألفاظ الأعجمية الدخيلة ، على هذه اللغة الكريمة . وقد جاء في آخر كلام الأستاذ محمد زكي عبد القادر : «ألا ينادي البعضُ اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الإسلام الأولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم ؟ !» .

يقول هذا في معرض التنظير بين اللغة والدين ، وإن كلاً منهما يعرض له النسخ والتغيير ، فالأولى بمفرداتها ، والثاني بأحكامه ومعاملاته ، ولو أخذ هذا القول على إطلاقه لما بقي لنا لغة ولا دين ! ! وليته لم يستطرد ولم يتعرض

هذا الموضوع الديني الذي أوجب علينا بيان الحق فيه ، وان لم يكن من موضوع مجلتنا العلمية .

وقد علق الأستاذ الرئيس على الأول منها ، واني أعلق على الثاني بايجاز فأقول : أن النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى — وهي العصور العربية الذهبية — هي روح (الديموقراطية) الحرة ، ومن مميزاتها على سائر الحكومات المدنية ، أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل : « لا ضرر ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال . ومن مميزاتها أيضاً الرجوع — عند تنازع أولي الحل والعقد — الى ما كان أصح دليلا ، وأوضح سبيلاً ، وأدنى في حكمه الى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس (البرلمانية) التي كثيراً ما تحكم الأكثرية فيها بما تملي عليها المصلحة الخاصة والهوى ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الأقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوبة على أمرها .

ونحن نورد شاهداً واحداً على ما سماه الأستاذ (التحرر والتقدم) وهو أن علماء الحقوق والاجتماع في هذا العهد قسموا العقوبة الى أدوار ثلاثة : انتقام وقصاص واصلاح ، والحق الى شخصي وإلهي وعام ، وجعلوا الإسلام في هذين المطلبين ، وسطاً بين طرفين ، فعقوبته قصاص ، أي لا تأديب واصلاح ، والحق فيه إلهي ، أي ما هو حق عام للأمة ، والصواب أن هذا التقسيم الثلاثي ، هو أمور اعتبارية ، لا حقائق ثابتة متغايرة ، فانه لا منافاة بين كون العقوبة حقاً شخصياً وإلهياً وعاماً ، وإنما يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ، فالحق شخصي من جهة قرابة صاحب الحق وذويه ، وإلهي من حيث ان الله تعالى قسم الحقوق بين العباد على قاعدة العدل والإحسان ، وشرع القصاص رحمة بالعباد ، وذريعة لحسم مادة الفساد ، وحق عام من حيث وحدة الأمة وتضامنها ، وان ما شرع في مصلحتها ، فهي المكلفة بتنفيذ الحكم بواسطة حكومتها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانتقام قد يراد به التأديب ، والقصاص تكون غايته الحياة الطيبة والإصلاح ؛ وما يقال في الأمم يقال في الأفراد فان القتل والقطع والجلد ، يراد منها صلاح الفرد ، والمحافظة على المجموع ، فكم من نقمة أورثت نعمة ؛ والعَجَب ممن ينكر القصاص العادل ، ولا يعظم الذنب ، إن الجزية هي التي تفضي الى القصاص ، وهو الذي يأخذ المجرم بذنبه ، فيكون فيه حياة الباقي ، وإذعان القرابتين للحكم ، وإزالة الوَغَر والضغن ، وكفّ الأذى والعدوان ، « فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بمعروف وأداء اليه باحسان » .

ثم قال الأستاذ محمد زكي : « ولو وعوا أن الاسلام لم يقصد قطّ خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات لأدركوا أيّ دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة .. ولكنهم بضيق التفكير ، وضآلة الفهم ، يجنون على الاسلام أعظم جناية » .

أقول : إن من الأحكام الثابتة الخالدة ما لا يغيره الزمان والمكان ، ولا يختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وهي الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالتوحيد والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش ، والشرك والإفك « إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » فهل تقبل هذه الأوامر والنواهي تبديلاً أو تعديلا ؟ وقوله في العدل العام : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضكم لهم على ألاّ تقيموا سنة العدل فيهم ؛ ثم أمرهم بالعدل الكامل الشامل للمسلمين وغيرهم على اختلاف طبقاتهم بقوله : « اعدلوا » وحذف المعمول يؤذن بالعموم كما هو معلوم .

قال حكيم : « الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، فأما الهداية الدينية المحضة فقد جاء بها تامة أصلاً وفرعاً ، وفرضاً ونفلاً ؛ وأما السياسة الاجتماعية المدنية ، فقد وضع الإسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للأمة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترتقي بارتقاء العمران ، وفنون العرفان ؛ ومن قواعده فيها ان سلطة الأمة لها ، وأمرها شورى بينها ، وأن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية » .

إن الأمة العربية الآن متجهة اتجاهاً قوياً الى أن تعيش في ظلال القوة والوحدة والثروة والنظام ، وهل في الاسلام ما يعارض هذا الاتجاه ؟ لا ، بل الاسلام قد سبق أوربا بمئات السنين اليه ، وجرى ملوك الدول أيام حضارتهم عليه ، وقد امتازت حضارته بالعدل والفضيلة على سائر المدنيات التي تبيح الظلم والرذائل .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(استدراك)

وقع سهواً في الصفحة (٩٧) من مقال : «أقدم تأليف في الحديث النبوي» المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

الآية : « ما كنت تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » وصوابها : « ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

كيف تكتب (سورية)

تعددت الروايات عن كتابة (سورية) بالتاء المربوطة أو بالألف. وقد سئل المجمع العلمي العربي عن هذا الغرض فأجاب بقوله ان (سورية ورومية وأمثالها من أسماء الأقطار والمدن التي عرفها العرب تكتب بالتاء المربوطة. والسبب في ذلك يرجع الى أن مؤلفي العرب وكتابهم كانوا يكتبونها كذلك. أما ما لم يكن للعرب به عهد من اسماء البلدان كفنزويلا وكندا مثلاً فيكتب بالألف). وقد قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية مثل هذا القرار أيضاً ونشر قراره في سجل محاضر جلساته المطبوع سنة ١٩٣٩.

ولكن من أين لنا أن نعرف الأعلام الجغرافية وكيف كتبها العرب؟ ذلك سهل علينا، ولا سيما على المتخصصين في فن تقويم البلدان (الجغرافيا) والتاريخ: يرجع الى كتب التاريخ وتقويم البلدان وهي كثيرة في خزائننا: منها المطبوع ومنها المخطوط. ومؤلفو الجغرافيا العربية الى أواخر القرن الرابع كثيرون: منهم ابن خرداذبه وابن رسته واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والمسعودي وابو الفدا. وقد طبع علماء المشرقيات مصنفاتهم وعنوا بها وبفهارسها. وقام بعد هؤلاء البكري والهروي وياقوت الحموي والبغدادي وأشهرهم كلهم الادريسي الذي ألف كتاب (نزهة المشتاق) لملك صقلية. وفي هذا الكتاب خريطة جغرافيا أو أطلس جغرافي وقد أطلق عليه اسم (صورة الأرض). فمن تصفح كتب التاريخ وتقويم البلدان ومصورات الأرض التي ألفت في العربية ووقع بصره على أسماء المدن الأعجمية وجد أن العرب كتبوا أواخر أسمائها بالتاء المربوطة. فنكتب نحن هذه الأسماء كما كتبها المؤلفون العرب. وما لم نظفر به من هذه الأسماء كتبناه بالألف كما يلفظه أهله الأعاجم. أو قلدنا فيها السلف فنكتبه بالتاء المربوطة.

أما الوصول الى هذه المراجع فهي كثيرة في خزانة المجمع العلمي العربي وهو مفتح الأبواب للكتاب والمؤلفين والمراجعين . ولو ألقينا النظر على اسبانيا (الأندلس) مثلاً لوجدنا أسماء مدنها تنتهي بالتاء المربوطة مثل (طليطلة سرقسطة غرناطة طرطوشة جزائر ميورقة منورقة الخ ....) واذا نظرنا الى صورة اوربا وجدنا فرانسة رومة جنوة الخ ... وهكذا يمكن لنا أن نتبين بسهولة ما يكتب بالتاء . وما لا نجده فنحن أحرار في كتابته .

فوجب والحالة هذه أن نكتب (سورية) كما كتبها العرب بالتاء المربوطة . فقد وردت في تاريخ الامام الطبري ، عقد المؤلف فيه فصلاً خاصاً في الجزء (٤) ص (١٥٥) بعنوان (ذكر ارتحال هرقل الى القسطنطينية) وذكرت كلمة سورية فيه مراراً . ومنها ما قاله هرقل في وداعها (عليك السلام يا سورية) وتكررت هذه الجملة بسبب تكرر الروايات . ولم تختلف كتابتها في كل مرة كتبت فيها : هكذا (سورية) بالتاء المربوطة . ومثل ذلك في معجم البلدان لياقوت الحموي . فلا اشكال بعد هذا .

المغربي

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب تقييد العلم

(لأبي بكر الخطيب البغدادي)

ابو بكر الخطيب البغدادي من أكابر المؤرخين . ولتاريخه مكانة في الأندية العلمية ، وظهرت عظمته فسار على نهجه جماعة من الأعاظم في تدوين أخبار المدن وآثارها وما أنجبت من رجال في الثقافة نسجوا على منواله في (تاريخ حلب) ، و (تاريخ دمشق) ، و (تاريخ مصر الكبير) للموفق البغدادي ، وتواريخ مدن عديدة .

وأثر فيمن ذيل على تاريخه مثل السمعاني وابن النجار والدبيثي وابن رافع والبنداري ، والذهبي ، والتقي الفاسي ... هذا ولم نحصل على احصاء كامل في علماء بغداد وثقافتها الثقافة التاريخية .

وتهمنا ناحية أخرى (الثقافة التاريخية في الحديث) . وأعتقد أنها لا تقل شأناً عن سابقتها وربما كانت أصلاً لتلك أو ركناً من أركانها . وهي ما نعبر عنه بـ (مصطلح الحديث) . منها اقتبس المؤرخون أصول التاريخ . وهي التي ألهمته أصول تاريخه . ومن ثم أوضح عن (رجال الحديث في بغداد) وغيرهم تناول صحة الخبر ومطالب أخرى تتعلق بها . فهي أصول الحديث وأصول التاريخ معاً . ومؤلفاته في موضوعها كثيرة . ومنها (كتاب تقييد العلم) .

طلع علينا الأستاذ العش بهذا الكتاب ، أوضح ما فيه تعليقاته ، توصل منها الى أن العلماء التالين لم يزيدوا على ما قال . وان اظهاره بهذه الحالة خدمة عظيمة لا تقدر .

وأقول : ان التأثر بكتابه هذا وأمثاله من كتبه الأخرى في فنون الحديث لا تقل ، أو لا تختلف عن درجة التأثر بتاريخه (تاريخ بغداد) . حصل ذلك في مجموع مؤلفاته في (علم الحديث) . وهي كثيرة ومهمة . ومنها ما طبع ، فلم يخل محدث من التأثر بها ، بل لم نر مؤرخاً مكيناً الا تأثر بها من ناحية تدقيق الخبر والوثوق من صحته وطريق الأخذ به .

والخطيب لا ينكر أنه تأثر بمن قبله من المحدثين الا أن العلماء شهدوا بأنه فاق من تقدمه ، وصار التالون عيالاً عليه ، ولعل النص التالي يؤيد وضعه التاريخي في (فنون الحديث) ، ويتميز به على غيره . قال الأستاذ الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر) ما نصه :

« ان التصانيف في اصطلاح أهل الحديث قد كثرت للأئمة في القديم والحديث . فمن أول من صنف في ذلك القاضي ابو محمد الرامهرمزي كتابه (المحدّث الفاصل) لكنه لم يهذب ولم يرتب ، والحاكم ابو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب . وتلاه ابو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجاً

وأبقى أشياء للمتعقب . ثم جاء بعدهم الخطيب ابو بكر البغدادي ، فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه (الكفاية) ، وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) . وقل فنٌّ من فنون الحديث الا وقد صنف فيه (كتاباً مفرداً) ، فكان كما قال الحافظ ابو بكر ابن نقطة : كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه .

ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب فأخذ من هذا العلم بنصيب ، فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً سماه (الالماع) ، وابو حفص الميانجي جزءاً سماه (ما لا يسع المحدث جهله) . وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت وبسطت ليتوفر علمها ، واختصرت ليتيسر فهمها الى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين ابو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق فجمع لما ولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية كتابه المشهور ، فهذب فنونه وأملاه شيئاً بعد شيء ، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب . واعتنى (بتصانيف الخطيب) المتفرقة فجمع شتات مقاصدها ، وضم اليها من غيرها نخب فوائد فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره . فلهذا عكف الناس عليه ، وساروا بسيره ، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ومستدرك عليه ومقتصر ، ومعارض له ومنتصر ...» اه

ثم كتب الأستاذ ابن حجر نفسه كتابه (نخبة الفكر) وشرحها باسم (نزهة النظر) . ومن مخطوطتها نقلنا النص المذكور . ويطول تعداد ما شغل به العلماء من الشروح والتعاليق . ويهمنا بيان التأثير والتأثر بكتب الخطيب في (فنون الحديث) كما أثرت في (فنون التاريخ) ، فتجلت عظمته فيها وفي تاريخه . ومنها تكونت ثقافة العصور التالية بما ألهم من آراء سديدة وجديدة . وصح ما قيل من أن المحدثين عيال على كتب الخطيب .

وقد أجاد الأستاذ العش بما علقه على كتاب (تقييد العلم) ، فلم يشأ أن ينقطع عنه . وله الفضل فيما أسدى من هذه الخدمة .

عباس العزاوي

وجمال العبارة لا يقدح في جوهر الكلام . أما الحقيقة فهي غير ما يصورون فالقوالب رونق وجمال ومن جملة الابداع افراغ الكلام في صورة مقبولة . فان كنا نستهجن من مخاطبنا أن يُعيد في كلامه ويكرر ويحشده بما هو مستغن عنه فنحن أحرياء أن نشمئز من التكرار في الكتابة وبخاصة فيما يفرض فيها الخلود أو التداول زمناً .

قد يعذر المضطرون الى الاسراع في كتب ما يكتبون كأرباب الجرائد ولكن ما عذر بعض المؤلفين وأرباب المجلات في تسطير ما يعاب وهم في سعة من الوقت ، وما اخال معظمهم اذا حدقوا النظر قليلاً فيما ترعف به أقلامهم الا عائدين على ما خطوا بالحذف والتبديل . واذا أرجعوا أبصارهم على ما كتبوا مرتين في يومين يسقطون على ما يرون من أنفسهم دافعاً لحذفه . وليس من شك في أن كل كاتب اذا تأمل قليلاً فيما يكتب يتأتى له أن يحذف ألفاظاً وجملاً يستعيض عنها بأجمل منها ويسلم كلامه من الهجنة والغثاثة . واذا قرأ ما فتح على قريحته بادئ الرأي ، وصورة ساعته على الورق ، على رجل مرن على الكتابة يصحح له المعوج ، وينبهه الى الركيك والمكرر السمج ، يأتي بعد ذلك بالجيد من القول ويخرج أحسن ما عنده خصوصاً اذا كان على فضل ذكاء ورغبة في الاتقان . والاتقان في كل شيء يتوقف على الاكثار من العناية والأناة . وقديماً كان الكتاب ينقد بعضهم بعضاً فتصفو كتاباتهم في العين والذوق ويقبلها جهابذة الكلام ولا يرذلونها . وفي أيامنا عمت البلوى بالمكرر البارد والدخيل غير الوارد حتى كاد بعض من اعتادوا سماع كلام البلغاء أن يعرضوا جملة واحدة عن النظر في المنشآت الحديثة ، يتقززون من تلاوتها وان كانت تحمل أفكاراً جيدة وعلماً طريفاً .

كان من عادة صديقي الشاعر حافظ ابراهيم رحمه الله اذا نظم قصيدة أن يرددها على مسامع اخوانه ليذكروا له رأيهم في ألفاظها ، وكنت أستكبر منه

ذلك على تضلعه من اللغة واستغنائه ببيانه عن كل بيان ، فكان يقول لا بد من أخذ آراء العارفين وان لم يكونوا شعراء فقد تكون لهم يد في اللغة ويهتدون الى مواقع استعمالها بما لا يهتدي اليه غيرهم . ويا حبذا لو تأسى الكتاب بشاعر النيل يحذون حذوه يوم يخطون أسطراً تنشر وتؤثر .

لو كانت جرائدنا وناشرو كتبنا على شيء من الغنى لاقترحت على كل جريدة وعلى كل مطبعة أن تعهد الى أستاذ تحرير في البيان يقوّم العبارات الضعيفة ويصقلها صقلاً يخرجها عن حد الكلام الغث التافه ، وبطول الزمن يدرك كل من يكتب ما يعاب على الكتاب فيتوقاه ويكتب الكلام المنقح المستملح .

أدب طه حسين

من قبيل تحصيل الحاصل الاشادة ببلاء صديقي العلامة الدكتور طه حسين في خدمة الآداب العربية ، وأثره المحسوس في ادخالها في طور جديد وبث أفكاره في جميع طبقات القراء . كان مجلياً في معظم ما خطته يمينه من بحث علمي وابداع أدبي وكان عمله عدل عمله ظهر ظهوراً واسعاً في رئاسة الجامعة وفي وزارة المعارف . وما خلا مع هذا من حساد وأعداء ولكنهم قلائل جداً اذا قيسوا بالمعجبين به والمستفيدين من نفثاته ، فهو بلا مراء حسنة من حسنات مصر في هذا العصر وفضله على الأفراد والجماعة لا ينكره عليه الا مكابر .

ينشر الدكتور هذه الأيام في جريدة « الاهرام » مقالات في الأدب يعرض فيها للكتب الحديثة ولا سيما للقصص والروايات ويفيض في نقدها بلطف ولا يغفل عن الدلالة الى ما فيها من مواضع احسان ، فهو كعلماء الافرنج في هذه الأيام يعلل تعليل حكيم عالم ، ويحلل تحليل نقاد منصف ، يعلّم ولا يجرح ويتألف ولا ينفر . ولا يسع المرء مهما كان معجباً بنفسه اذا قرأ ما كتبه فيه

المدارس في الجمهورية السورية

بلغ مجموع المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية في عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ ما يأتي:

١ — المدارس الابتدائية : المجموع ٢١٨٤ مدرسة منها ١٥٢٤ مدرسة للذكور و ٣١٣ مدرسة للاناث و ١٣ مدرسة مختلطة (رسمية) ، و ٩٨ مدرسة للذكور و ٤٦ مدرسة للاناث و ١٥٢ مدرسة مختلطة (أهلية) و ١٣ مدرسة للذكور و ١٠ مدارس للاناث و ١٥ مدرسة مختلطة (أجنبية) .

٢ — المدارس المتوسطة والاعدادية : المجموع ١٦٤ مدرسة . منها ٣٥ مدرسة للذكور و ٢٠ مدرسة للاناث ومدرستان مختلطتان (رسميتان) و ٦٥ مدرسة للذكور و ١٩ مدرسة للاناث و ٥ مدارس مختلطة (أهليـة) و ٧ مدارس للذكور و ٩ مدارس للاناث ومدرستان (اجنبيتان) .

٣ — المدارس المهنية تدخل فيها المدارس الزراعية : المجموع ١٣ منها ١٠ مدارس للذكور ومدرسة واحدة للاناث (رسمية) ومدرسة واحدة للذكور ومدرسة واحدة للاناث (أهلية) .

٤ — مجموع مدارس دار المعلمين عشر : منها ٦ للذكور و ٤ للاناث (رسمية) .

وقد بلغ مجموع موازنة وزارة المعارف لعام ١٩٥١ — ١٩٥٢ حوالي ٤٩ مليون و ٧٦٩ ليرة سورية وبذلك تكون النسبة المئوية لهذه الموازنة بالنسبة لمجموع موازنة الدولة ١٨و٧٨ .